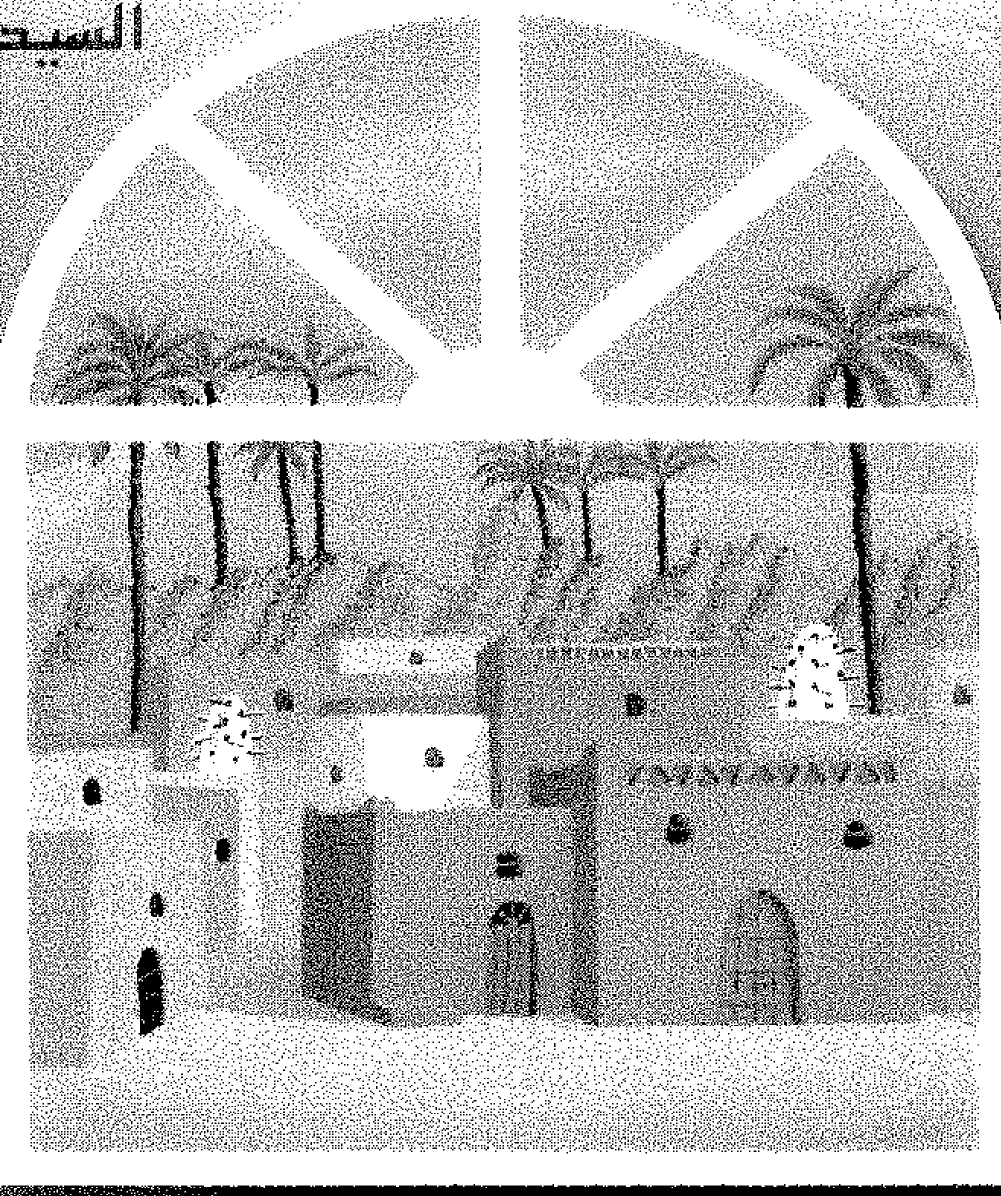
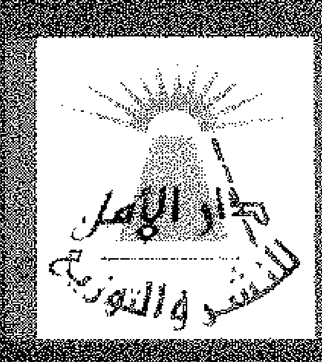
بلبيس
بلد الأنبياء والرسل

تأليف
السيد محمد عاشور





9

بلبيس
بلد الأنبياء والرسل

دار الأمـــل

الناشـــــــر :	دار الأمـــــل
الـعـنـــوان :	٨ شارع عبد العزيز حامد - أول الملك فيصل - الهرم
تليــفــون :	٥٨٦٠٨٩٢
رقم الإيداع :	٩٨/٨٨٨٩
الترقيم الدولى:	977 - 5823 - 33 - 1
طـــبـــع :	مطابع الوادى الجديد
الـعـنـــوان :	دار السلام

جمع وإخراج :	أرمس للكمبيوتر
الـعـنـــوان :	٣٢ ش على عبد اللطيف - مجلس الأمة - لاظوغلى
تليــفــون :	٣٥٦٤٤٠٤
الطبـعة الأولى	١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م

بلبيس بلد الأنبياء والرسل

تأليف
السيد محمد عاشور

الناشر
دار الأمل للنشر والتوزيع

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

نهج بعض المؤرخين والكتاب منذ الزمن القديم على كتابة تاريخ بعض المدن مبينين أهميتها التاريخية ، واستمر هذا النوع من الكتابة حتى عصرنا الحاضر ، فمازلنا نرى المؤرخين يكتبون عن المدن الحديثة وتاريخها .

ونحن نرى من كتب عن بابل وأشور وأور الكلدانيين تلك المدينة التى خرج فيها سيدنا إبراهيم هرباً بدينه الحنيف من موطن الشرك والوثنية .

وفى عهد الفراعنة كتب الكثير عن مدينة طيبة (الأقصر حالياً) ومنف وعين شمس (هليوبوليس) .

وفى العصر الإسلامى قام الكثير من المؤرخين المسلمين أمثال المقريزى وعلى باشا مبارك وابن دقماق وابن زولاق وغيرهم بكتابة تاريخ المدن المصرية .

وقد ساءلت نفسى بعد الاطلاع على كثير من هذه الكتب - هل مدينة بلبيس تستحق الكتابة - أم لا . وجدت الإجابة أنها تستحق بل وجدت من الواجب الكتابة عنها لعدة أسباب .

١ - من الناحية الدينية استقبلت خمساً من الأنبياء والرسل وهم :

١ - سيدنا يوسف وسيدنا يعقوب وأولاده .

٢ - ولد بها سيدنا موسى عليه السلام ونشأ بها .

٣ - مر بها سيدنا عيسى وأمضى بعض الوقت فى قرية جيفة (غيته) الآن وهى إحدى قرى بلبيس والقريبة منها .

٤ - أمضى بها سيدنا عمرو بن العاص ما يقرب من شهر عند فتح مصر وانتصاره على الروم .

٥ – مرت بها السيدة الكريمة الفاضلة السيدة زينب ومعها الإمام على زين العابدين وكان صغيراً ، وقد قوبلا استقبالاً حاراً من أهالى بلبيس .

٢ – من الناحية السياسية :

كانت هذه المنطقة بلبيس (جوشن) عاصمة للفراعنة إذ كانت « بر رعمسس » عاصمة لرمسيس الثانى ، ومدينة أواريس عاصمة للهكسوس ، وكلتاهما يقعان فى منطقة بلبيس .

٣ – من الناحية الاستراتيجية والحربية :

فقد شهدت بلبيس المعارك الكثيرة مثل المعركة التى انتصر فيها عمرو بن العاص قائد جيش المسلمين على جيش الروم كما شهدت الحروب الصليبية ، والتى قامت بين شاور وضرغام وبين القواد الصليبيين ، والتى انتهت بانتصار صلاح الدين الأيوبى على هؤلاء الصليبيين وشهدت حرب نابليون والمماليك .

كل هذا دفعنى إلى الكتابة عن بلبيس ، وقد فصلنا تاريخها فى هذا الكتاب وإن كان هناك الكثير مما لم أكتبه ، وأرجو الله أن يتقدم أبناء بلبيس بما يعن لهم من تاريخ .

والحمد لله أولا وأخيراً .

المؤلف

السيد محمد عاشور

* * *

الباب الأول
بلبيس واسمها فى الزمن القديم
وأهم مدنها القديمة

بلبيس واسمها فى الزمن القديم

عرفت بلبيس فى الزمن القديم باسم جوشن أو جاشان ، وكانت هذه المنطقة تسمى فى التوراة وكتب التاريخ باسم جوشن أو جاشان أو جاشان الكبرى .

كانت هذه المنطقة تقع بين محافظتى الشرقية والإسماعيلية الآن ، وأخذ اسم جاشان يتطور تبعاً للأهواء السياسية والدينية والاجتماعية حتى صار الاسم بلبيس، وقدمنا ذلك فى الفصل الخاص ببلبيس . أما حدود منطقة بلبيس قديماً فكانت كما يلى :

١ - حدد المؤرخ جريفث منطقة جوشن بأنها المنطقة التى تقع بين فرع النيل البيلوزى (مكان بحر موبس الآن) والقنال الذى يبدأ من بلبيس .

٢ - يرى الدكتور فيليب حتى « أن أرض جاشان التى أقطعها سيدنا يوسف لأبيه سيدنا يعقوب ، كانت تشمل المثلث الواقع بين باستت (الزقازيق) حالياً ومن بلبيس وتل المسخوطة (التل الكبير الآن) .

٣ - دلت الاكتشافات الحديثة أن منطقة بلبيس (جوشن) كانت المنطقة الممتدة من قناة السويس حتى مدينة بلبيس والزقازيق .

ويضيف قائلاً [١] :

إن هذه المنطقة كانت تقع غرب السور المقام على طول المنطقة التى نشأت مكانها قناة السويس [٢] الآن وكان هذا السور عبارة عن حصون وقلاع يقوم بالإشراف عليه جنود مصريون لمراقبة الداخلين إلى مصر والخارجين ، ولحماية مصر من غارات الأعداء [٣] .

٤ - جاء فى كتاب رحلات إلى أرض إسرائيل ما يأتى :

---

(1) The Ronte of Exodua .

(٢) مجلة الشرقية (١١٥) .

(٣) طريق خروج بنى إسرائيل من مصر .

« والسفر من سكوت إلى جوشن أربعة أيام ، ويقول أيضاً إن جوشن هى مدينة بلبيس » [1] . وكان ذلك أيام صلاح الدين الأيوبى حوالى سنة (١١٨٧م).

٥ - جاء فى التوراة ما يأتى : « يقول ابنك يوسف (سيدنا يوسف) قد جعلنى الله سيداً لكل مصر انزل إلى لا تقف فتسكن فى أرض جاشان « جوشن وتكون قريباً منى أنت وبنوك » [2] .

وجاء أيضاً « أرض مصر قدامك فى أفضل الأرض أسكن أباك وأخوتك ليسكنوا فى أرض جاشان » [3] .

٦ - جاء فى قاموس الكتاب المقدس ما يأتى :

جاشان هى منطقة خصيبة فى مصر كثيرة المراعى للقطعان والمواشى واقعة شرق الدلتا ، وهى المعروفة الآن بالشرقية الممتدة من جوار أبى زعبل إلى البحر ، ومن برية جعفر إلى وادى الطميلات ، وقد أعطاها يوسف لأبيه وأخوته وسكنوا فيها ومكثوا فيها حوالى مائتى عام ، وهى تكون جزءاً من أرض رعمسيس [4] .

* * *

---

(١) كتاب رحلات إلى إسرائيل تأليف إبراهيم بعيرى (ص ٨٥) ، وهذا الكتاب باللغة العبرية وترجمنا إلى اللغة العربية النص الخاص بمنطقة جوشن .

(٢) سفر التكوين اصحاح (٤٦/ ١٠) .

(٣) سفر التكوين اصحاح (٤٧/ ٦) .

(٤) قاموس الكتاب المقدس (٢٤٢) .

جوشن (ومعنى الكلمة)

جوشن بمعنى قسم

يرى بعض المؤرخين أن جوشن تعنى قسم = قسم من الدولة ، وقالوا إن (ح ش ن) = يمكن أن تكون (ح س ن = ق س م) ، وذلك : أن الجيم فى اللغات السامية يمكن أن يحل محلها حرف القاف (ق) ج = ق أو ك .

وأن (ش) = يمكن أن يحل محلها (س) فى اللغة العبرية ، وهناك بعض القبائل من ينطق (ش) وبعضهم ينطقون (س) فمثلاً كلمة شبلاه = سبلا .

وأن النون يمكن أن تحل محلها حرف الميم (م) .

وتكون (ج ش ن) تكون	ويكون حوسن = قسم
ك أو ق س م	كسم
Ksm	Ksm

ومن هذه التفسيرات يمكن القول بأن جوشن هى بمعنى قسم من الدولة ، وأن هذا القسم من الدولة كان معروفاً منذ الأسرة الثانية عشرة ، وإن لم يظهر بهذه الأهمية الخطيرة إلا فى عصر رمسيس الثانى إذ سكنها وبنى فيها المدن الهامة [1] .

* * *

أهم المدن التى كان تتبع منطقة جوشن

قلنا إن منطقة جوشن كانت تشمل تقريباً بما نسميه اليوم (محافظتى) الإسماعيلية والشرقية – وكانت هذه المنطقة تشمل عدة مدن هامة ذات أحداث تاريخية عظيمة مازلنا نذكرها حتى أيامنا هذه .

ومن أهم هذه المدن هى :

١ – صوعن　　　　٢ – تحفنحيس

(1) Jewish ENC .

واتظر أيضاً سترابون .

٣ – رعمسيس
٤– تل اليهودية
٥ – بوباسته
٦ – بيتوم (تل المسخوطة)
٧ – الرطاية
٨ – سكوت
٩ – شور
١٠ – مجدل
١١ – هاهجيرون
١٢ – بلوز
١٣ – الفرما
١٤ – إيتام
١٥ – فم الحوت
١٦ – بعل صفون

* * *

الباب الثانى
بلبيس وأصل الكلمة

بلبيس وأصل الكلمة

إن كلمة بلبيس لفظة لم توضع اعتباطا ولكن لها معنى وهو عبادة القط .

أما كيف يكون هذا التفسير فنقول :

إن كلمة بلبيس تتكون من لفظين أو كلمتين هما : بعل وبس .

بل : أصلها بعل بمعنى إله أو السيد ، وكان بعل إله الزراعة والمطر فى بعض الدول الأسيوية مثل بلاد العراق (قديماً) ، وكانت هذه الكلمة تضاف إلى بعض الألفاظ الأخرى للتشريف ، والتعظيم كما يقول المسلمون الآن عبد الرحمن فكان بعل بس يعنى معبود لآله آخر ، وفى بعض الأحيان كانوا يضيفون كلمة بعل مدينة ما أو مكان مثل بعلبك (١) ومعناها وادى الرب أو بيت الرب ، وبعلبك مدينة بالشام .

وتختصر كلمة بعل إلى « بل » لأن نطق حرف العين صعب ، ولذا نجد بعض النحاة يفضلون نطق بل بدلاً من بعل (٢) .

وهناك أمثلة على ذلك فمثلا مدينة جبل مكون من كلمتى حى + بل ، وكذلك كلمة مثل بلعام وأصلها جى + قعل ، بعل + عام .

أما كلمة بعل فقد دخلت اللغة المصرية القديمة أيام الهكسوس الذين حكموا مصر فترة من الزمن واتخذوا بعل إلهاً لهم .

* * *

بس

أما لفظة لبس فيعنى اسم أحد آلهة مصر أيام الفراعنة، وجاء ذكره فى كثير من

---

(١) بك بمعنى مدينة بك تقارب كلمة باكى المصرية القديمة ، وكذلك القبطية والتى تعنى مدينة أو مكان ، انظر فى ذلك :

D Baal Bak In History By gohn woad .

(٢) انظر : د/ صلاح صالح أستاذ بكلية اللغات والترجمة .

النقوش والآثار المصرية عند الكلام كما وجد على معبد تيفون صورة الآله بس التى حفرت على بعض أعمدة المعبد ، وعلى كل حال فإن صفات الآله بس كانت صفات خاصة [1] .

وجاء عن الآله بس ما يأتى :

كانت بالردهة ثمانية عمد فى صفين مزدوجين وكانت هذه العمد مزينة بصور الآله بس إله الفرح والسرور الذى يلبس ريشاً غالياً .

وجاء أيضاً عند الكلام على الردهة (صالة) الثانية كان على جانبى الممر قد أقيم عمود مستطيل محلى بصورة الآله بس نقش عليه اسم الملك تهرقا والقابه[2].

ويقول الأثر يدح :

« ويجدر بنا الاعتقاد بأن الآله بس كان إلهاً محليا والمعتقد أنه إله مصر ، ومن الجائز أن اسم بس قد أطلق على هذا الإله لأنه يرتدى جلد الحيوان بس الذى وجد بالحيوان فيلبس حرابلوروس .

ويمثل هذا الآله لابساً لباس رأس بريش يدل على أنه حيوان برى أو شبه برى، وأن خواصه خواص إفريقية الأصل أكثر منها آسيوية ، وأن صورة بس توحى بأن موطنه هو موطن الأقزام هذا إلى أن علاقة اسم هذا الآله ببلاد البنط وأرض الأرواح تشير إلى وجود اعتقاد بأن عبادته كانت من إنتاج أقوام الجزء الشرقى من وسط أفريقية ، يضاف إلى ذلك أن الآله بس كان يعد آله الفرح والسرور والمرح، وهذه كلها سجايا يتصف بها أهل أواسط أفريقية وبلاد السودان [3] .

. ويقول أحد المؤرخين : « إن موطن الآله بس هو السودان وجاء إلى مصر وأصبح من الآلهة المصرية واستوطن شرق الدلتا » [4] .

---

(١) مصر القديمة جزء (١١/ ٢٥٥) سليم حسن .
(٢) مصر القديمة جزء (١١/ ٢٥٥) سليم حسن .
(٣) مصر القديمة جزء (١١/ ٢٤٠) .
(4) The Qwelles of fhe Nile P . 163 .

ويقول أيضاً : إنه كان يتحلى بريش على رأسه ، وأنه آله الحب والجمال وآله الموسيقى [١] .

ويرى مؤرخ ثان أن كلمة Bis تعنى : يدخل .

بينما يقول مؤرخ ثالث عن معنى Bis بس : إنه إذا تولى ملك جديد حكم مصر فلن يبدأ عملاً ما إلا إذا دخل حجرة العرش قبل توليه زمام الحكم ، وهذا معنى بس ، ويشاهد فى الحفلة الآله بس يضرب على العود [٢] .

وقد أهدى الكاهن الأكبر الملك ششبق [٣] تمثالاً للآله بس وهو محفوظ الآن بمتحف ألن ويك كاسل من أعمال انجلترة .

وعثر أيضاً فى سقارة على مومياه وبجانبها تمثال صغير للآله بس وعلى رأسه ظعراء الملك تاكيلوت الثانى بمثابة تاج له محلى بريش نعام أو بعبارة أخرى كان تمثال الآله بس مستعملاً صورته المزينة بريش النعام بمثابة مروحة مثبتة على قطعة من الخشب لها يد طويلة [٤] .

* * *

بر = بير :

كلمة بر أو بير : هما لفظتان بمعنى بيت أو دار وهما لفظتان مصريتان فى اللغة الهيروغليفية ، وإذا أضيفت أحدى هاتين اللفظتين إلى كلمة ما فإنها تدل على بيت أو دار .

وعلى هذا التفسير يرى بعض المؤرخين أن كلمة بلبيس قد يرجع أصلها إلى بر بس أو بير بس بدلاً من بلبيس [٥] .

---

(1) Les Trities et Les Rites en Tgylei Anaeus Par hax qulmaus P. 83 .

(٢) سليم حسن (١٦/ ٣٩١) .

(٣) ششبق إحدى ملوك الأسرة (٢٢) التى حكمت مصر فى القرن الثامن قبل الميلاد .

(٤) مصر القديمة جزء (٩/ ٣٢٣) تأليف سليم حسن .

(٥) كتاب قواعد اللغة المصرية القديمة فى عصرها الذهبى تأليف د . عبد المحسن بكير .

وكتاب لغة الإدارة العامة فى مصر فى القرن التاسع عشر تأليف عبد السميع سالم الهوارى (ص ٧٣)

وأن كلمة بر أو بير كما قلنا تعنى بيت أو مكان أو معبد ، وهى كلمة مصرية قديمة ، وجاء منها برعا أى بيت الملك ، والذى جاء منها كلمة فرعون ، وجاء منها بر أو زير أى مدينة الآله أوزر [١] .

كما جاء أن مدينة بلبيس كانت تسمى بير بس أى معبد لبس أو مكان عبادة بس.

* * *

بوباستة

ذكرت بوباستة فى مواضع عدة بمعان مختلفة نذكر منها :

(أ) باستت صاحية تل بسطة .

(ب) يعطى الحقل لأمه باستت العظيمة ربة بوبسطة ، ويقال أيضاً بوباستة أو باستت العظيمة ربة بوباستة معطاه الحياة مثل رع أبديا [٢] .

وقد ذكرت تل بسطة فى التوراة .

جاء فى سفر حزقيال ما يأتى :

شبان أون وفيبسطة يسقطون بالسيف وهما يذهبان إلى السبى [٣] .

وكلمة فيبستة مكونة من لفظين هما فى + باستة أما كلمة فى فهى بى المصرية القديمة بمعنى بيت أو مكان ، وأما كلمة باستة فهي معنى القط آله وتكون كلمة فبتسة بيت الآله القط .

* * *

القط ومركزه عند المصريين القدماء

كانت الدول قديماً تتخذ من بعض الحيوانات آلهة لهم يعبدونها كما كان بعضهم يتخذ أصناماً آلهة ، وكان المصريون قد اتخذوا من بعض الحيوانات آلهة يعبدونها فكان العجل أبيس مثلاً ، وكان القط وغيرهما ضمن الحيوانات التى

---

(١) مقال منشور بجريدة الأهرام للأستاذ الأثرى أحمد الصاوى ، والمقال منشور بنصه فى آخر الكتاب .

(٢) مصر القديمة جزء (١٢/ ٢٠٦) تاليف سليم حسن .

(٣) سفر حزقيال (٣٠/ ١٢) .

عبدها المصريون قبل نزول الأديان السماوية ، وقد أظهرت الحفريات والنقوش التى وجدت فى منطقة تل بسطة أن القط كان من بين الآلهة التى عبدها المصريون ، وأن تل بسطة كان المركز الرئيسى لعبادة القط والذى كان يسمى سيدة الشرق القديم.

● **باستت :**

هى آلهة بوباستة فى شرق الدلتا ويمثلها القط .

ويقول الأستاذ Monemy إن باشتت كانت آلهة بوباستة ولها وجه قطة (١) .

ويرى فى أحد المناظر أن الفرعون « تاكيلوث » (٢) يقدم للآلهة باستت الآلهة العظيمة ربة بوباستة ، وقد مثلت واقفة وعلى رأسها قرص الشمس خلف الآله باستت (٣) .

وبلبيس هى إحدى المدن التابعة للأقليم السابع عشر من مقاطعات مصر السفلى.

وكانت هذه المدينة تقدس الآله رع . أما الأقليم كله فقد كان يطلق عليه أم خنت وهى تل بسطة الحالى ، وهى بالقرب من الزقازيق الحالية .

بلبيس بكسر البائين وسكون اللام والياء والسين مهملة كذا ضبطه نصر الإسكندرانى قال والعامة تقول بلبيس مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ على طريق الشام يسكنها عيسى بن مغيض .

فتحت بلبيس سنة (١٨ أو ١٩) على يد عمرو بن العاص (٤)

وجاء فى القاموس الجغرافى :

قاعدة مركز بلبيس هى من المدن القديمة ذكرها جوتييه فى قاموسه وقال : إن اسمها القبطى Becok (بكوك) ثم ذكر فى موضع آخر اسما مصرياً هو بارسث ، وقال يحتمل أن يكون هذا اسم مدينة بلبيس ، ثم قال : إن الأستاذ «إتين» قال : إن الرومى Billos (بيلوس) ، والقبطى Belbes وأنها واقعة بين عين شمس وبين بسطة فى حدود الصحراء الشرقية .

---

(1) The Quelles of the Nile By Wallis Budye P . 30 .
(2) La Religan Eqyptisnne By Tnonly .
(٣) مصر الفرعونية جزء (٩/ ٣٢٣) تاليف سليم حسن .
(٤) معجم البلدان للشيخ الإمام ياقوت الحموى (ص ٤٧٩) جزء أول .

وقد بحثت عن اسم بارست الذى قال المسيو جونيه أنه يحتمل أنه يكون اسم بلبيس فتبين لى أن هذا الاسم هو لقرية أخرى اسمها « براتنن » التى هى براش إحدى قرى مركز بلبيس ، ومعها فى منطقة واحدة وأن من قربها من بلبيس هو الذى حمل الأستاذ جونيه على احتمال نسبتها إليه .

وأما الأستاذ اميلنيو فقد قال فى جغرافيته : إن اسمها القبطى Phelbes كما وردت فى بعض أوراق السلم ، وقال أنها وردت فى كتب أخرى قبطية باسم Posok , Thelbes , Phalabes ووردت فى المصادر العربية باسم بلبيس فى كتاب المسالك والممالك لابن حوقل ضمن القرى الواقعة على الطريق من الفسطاط بمصر إلى الرملة بفلسطين قال : وبينها وبين الفسطاط (٢٤) ميلاً .

جاء فى قاموس اقلاديوس : Pelbes .

بلبيس أو مدينة الخندق مدينة بمصر السفلى بقرب سلسلة جبل العرب منفصلة عن الصحراء المؤدية إلى البحر الأحمر كائنة بمديرية الشرقية الآن ، وكانت دار الأسقفية وآثارها قليلة وهى توجد شمال شرقى بلبيس الحالية .

وقد وجد لها أسماء أخرى مثل بيسوك icok ocok [١] .

ووردت فى المسالك لابن حوقل عن مصر ، وفى أحسن التقاسيم للمقدسى بأنها قصبة الحوف وجاء فى صبح الأعشى بلبيس والجارى على الألسنة قال : وهى مدينة متوسطة وبها المساجد والمدارس والأسواق ، وهى محطة رجال الدرب الشامى .

وجاء فى كتاب الانتصار بلبيس بكسر الباء أولها ، وعن البكر بفتحها قال : وهى مدينة مليحة ، وهى قصبة الحوف قاعدة أقليم الشرقية وبها والى الحرب وبها جامع ومدارس وأسواق وفنادق وبساتين ، وبها نخيل كثيرة ويمر بها نهر النيل أيام زيادته وهى مسورة .

---

(١) قاموس اقلاديوس (ص ٩٢٠) تأليف لبيب أقلاديوس .

وذكر المقريزى المؤرخ فى خططه أن بلبيس فى التوراة أرض جاشان قال : وهى من بلبيس إلى العلاقمة وفيها عدة بساتين وأهلها ذوو يسار ونعم سنية .

وورد فى قوانين ابن مماتى وفى تحفة الارشاد من أعمال الشرقية ووردت فى معجم البلدان بلبيس (بفتح الباء) قال : والعامة تقول بلبيس مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ على طريق الشام .

وكانت بلبيس قاعدة الحوف الشرقى أيام العرب ثم قاعدة الأعمال الشرقية من أيام الدولة الفاطمية إلى آخر الحكم الجركسى (دولة المماليك) ، ثم قاعدة الولاية الشرقية إلى سنة (١٨٣٢) ، وفى تلك السنة أصدر محمد والى مصر أمراً بنقل ديوان الشرقية والمصالح الأخرى إلى مدينة الزقازيق لتوسطها بين بلاد المديرية ، وبذلك أصبحت بلبيس قاعدة لقسم بلبيس الذى أنشئ فيها بدلاً من ديوان المديرية ثم سمى مركز بلبيس سنة (١٨٧١) (١)

* * *

---

(١) القاموس الجغرافى للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة (١٩٤٥) تأليف محمد رمزى .

الباب الثالث
بلبيس بلد الرسل والأنبياء والصحابة

بلبيس بلد الأنبياء والرسل والصحابة

تشرفت بلبيس بضيافتها لبعض الأنبياء والرسل فمنهم من زارها ومن اتخذها مسكناً ومقاماً ، ومنهم من ولد فيها .

لقد مر بها سيدنا إبراهيم وزوجته هاجر .

وجاء سيدنا يعقوب واستقر بها وتوالد من أسرته أولاده .

أما سيدنا يوسف فقد سبقه فى المجئ إلى مصر ، وأنه هو الذى أرسل والده سيدنا يعقوب للمجئ إلى مصر ويسكنه أرض جاشان .

أما سيدنا موسى فقد ولد فى منطقة جاشان .

وسنرى أيضاً أن سيدنا عيسى عليه السلام مر بها وأمضى ليلة هادئة .

أما الصحابة رضى الله عنهم فهم كثيرون فقد جاء بعضهم مع عمرو بن العاص وبعضهم جاء ليستقر بها .

وإن بلبيس لتفخر كل الفخر بمجئ السيدة زينب رضى الله عنها إليها حيث استقبلت أحسن استقبال .

* * *

بلبيس بلد الأنبياء

● **سيدنا إبراهيم :**

المعروف تاريخياً أن سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام جاء إلى مصر ومكث فيها بعض الوقت ، وكان أن منحه ملك مصر بعد أن عرف إيمان إبراهيم بربه وإخلاصه لربه منحه الملك هدايا كثيرة ، ومن أهمها أن أعطاه هاجر الأميرة المصرية ، والتى أصبحت أم سيدنا إسماعيل عليه السلام جد نبينا محمد عليه الصلاة والسلام .

لقد تشرفت الشرقية بمقدم أبى الأنبياء سيدنا إبراهيم فنراه يستقر بعض الوقت

فى أواريس ، وهى مدينة صوعن أيام الهكسوس ونحن نعرف أن صوعن إحدى مدن الشرقية والمجاورة لمنطقة جوشن والتى عاصمتها بلبيس .

وجاء أيضاً : « خرجت هاجر من أواريس » .

وجاء أيضاً : « كان إبراهيم ولوط واليعازر الدمشقى وبعض أتباع إبراهيم يطوون الأرض هابطين إلى مصر وتجاوزوا الحدود التى تفصل مصر عن سيناء ودفعوا ما طلب منهم من مكوس .

ثم انطلقوا من جوشن حتى بلغوا منديس فإذا قطط محنطة وتماثيل كثيرة لقطط وإذا الناس ينظرون إلى هذه القطط نظرات تقديس فلاح الدهش فى وجوه القادمين من فلسطين ورأوا تمثالاً للأله باستت إلهه المرح ، وكان رأسها رأس قطة فقطنوا إلى سر تقديس القوم للقطط .

وجاء أيضاً :

« واستأذن إبراهيم فى الرحيل ..... وأعطى الملك إبراهيم أنعاماً وهدايا وخيرات وفيرة ، ووهب لسارة امرأة سيدنا إبراهيم هاجر ، وانطلقت قافلة إبراهيم من أواريس [(١)] .

كما يوجد نقش وجد فى بنى حسن يبين وصول أحد زعماء البدو مع أسرته فى شرق الدلتا عندما أصابها القحط فربما كان إبراهيم عليه السلام هو الذى جاء فى عصر الملك سنوسرت (سيزو ستريس) أحد فراعنة الأسر الثانية عشرة .

* * *

سيدنا يعقوب فى بلبيس

نزل سيدنا يعقوب هو وأولاده أرض مصر بناء على طلب ابنه سيدنا يوسف الذى كان وقتئذ وزيراً لفرعون ، واختار سيدنا يوسف لأبيه منطقة جوشن [(٢)] ، وهى منطقة بلبيس ومكث يعقوب وأولاده ومن تناسل منهم سكناً بهم هذه المنطقة حتى خروجهم من مصر .

---

(١) أواريس : كانت عاصمة لمصر أيام الهكسوس ، وهى قريبة من صوعن كان اسمها الهيروغليفى « حات أورات » عم أوارت ثم أواريس أيام اليونان ثم أفاريس .

(٢) سنبين أن جوشن هى بلبيس (انظر : جوشن فى الفصل الخاص بها) .

لكن لماذا اختار سيدنا يوسف منطقة بلبيس ؟

هناك أقوال عدة نبينها فيما بعد :

١ - يقول بعض المؤرخين إن هذه المنطقة قريبة من فلسطين التى جاءوا منها فلو حدث حادث لهم فيسهل عليهم الرجوع إليها .

٢ - كان سيدنا يعقوب هو وأولاده يعبدون الله بينما كان المصريون وثنيين فهناك اختلاف بينهما فى الدين وطقوسه فأراد سيدنا يوسف أن يبعدهم ليكونوا أحراراً فى ممارسة طقوسهم الدينية .

٣ - كانت منطقة جوشن (بلبيس) منطقة مراع ويمكن أن يستوعب الأغنام والمواشى التى كان يرعاها قبيلة سيدنا يعقوب وخصوصاً أن هذه المنطقة كانت واسعة بخلاف داخل المدن المصرية التى لم يكن يسمح فيها بالرعى .

أضف إلى ذلك أن حياة سيدنا يعقوب كانت حياة بدوية تحتاج إلى الانطلاق فهى لا تتناسب والحياة داخل المدن .

٤ - اهتم سيدنا يوسف بألا تختلط عائلته بالمصريين الذين يعبدون الأوثان .

٥ - اعتبر المصريون أن كل راعى غنم رجس ودنس وأن رعى الأغنام مهنة حقيرة بينما كان يعقوب ينظر إليها كمهنة شريفة [1] .

٦ - كان الكهنة المصريون لا يلبسون الصوف فكانوا يكرهون الصوف ، ومن يقوم بتجارته بخلاف ما كانت تمارسه قبيلة سيدنا يوسف .

٧ - يقول بعض المؤرخين أن سيدنا يوسف تنبأ بأن قومه سيزداد عددهم مع مرور الزمن ، وليس هناك منطقة يمكن أن تسعهم غير منطقة بلبيس ذات المساحة الواسعة القليلة العدد وقتئذ .

٨ - أن منطقة جوشن كانت بلداً تصلح للرعى بخلاف ما كان يجاورها من مناطق صحراوية ، ولهذا فضل سيدنا يوسف هذه المنطقة على غيرها فاختار منطقة بلبيس .

يقول مؤلف كتاب طريق الخروج :

---

(١) الأسفار التاريخية دراسات فى اللغات .

إنه فى الغالب أن وادى الطميلات لا يمكن أن يمد مواشى يعقوب بالمراعى الكافية ، ولهذا كانوا يتجهون إلى الجهات الصالحة للمراعى ، ولم يكن هناك غير المنطقة التى تقع الآن الزقازيق وبلبيس وأبو حماد (١)

* * *

سيدنا يعقوب ينزل فى جوشن

جاء فى التوراة - فى سفر التكوين اصحاح (٤٧) ما يأتى :

« فأتى يوسف وأخبر فرعون ، وقال أبى وأخوتى وغنمهم وبقرهم وكل ما لهم جاءوا من أرض كنعان وهو ذا هم فى أرض جاشان ، وأخذ من جملة اخوته خمسة رجال ، وأوقفهم أمام فرعون فقال فرعون لإخوته : ما صناعتكم. فقالوا لفرعون : عبيدك رعاة غنم نحن وآباؤنا جميعاً ، وقالوا لفرعون جئنا لنتغرب فى الأرض إذ ليس لغنم عبيدك مرعى لأن الجوع شديد فى أرض كنعان فالآن ليسكن عبيدك فى أرض جاشان ، فكلم فرعون يوسف قائلاً : أبوك واخوتك جاءوا إليك أرض مصر قدامك فى أفضل الأرض أسكن إياك وأخوتك ليسكنوا فى أرض جاشان ، وإن علمت أنه يوجد بينهم ذوو قدرة فاجعلهم رؤساء مواشى على التى لى » .

جاء فى كتاب فراعنة الكتاب المقدس :

« جاء فى رسالة يرجع تاريخها إلى السنة الثامنة من حكم منفتاح فرعون مصر أنه كان لجماعة الإسرائيليين الحق فى تلك الفترة أن ينتقلوا من الصحراء إلى أرض جاشان لرعاية مواشيهم فى رحاب فرعون مصدر الخير لكل الشعوب ، ويكفينا لهذه الرسالة يمكن الإشارة إلى عبارة جاءت فى نقش لمنفتاح هذا فى الكرنك تقول « إن الأرض جوبا بيلوس (بلبيس الحديثة) لم تكن منزرعة بل تركت مرعى للماشية بسبب الغرباء النازحين وقد هجرت من عهد الأسلاف » .

والمرجح أن هذه العبارة تعنى أن الأرض لم يسكنها الفلاحون المصريون بل تركت للعبرانيين ومن إليهم من خليط قبائل البدو الآسيوية (٢)

---

(1) The Rowte of the Exodus

انظر أيضاً : اصحاح (١/٧)

(٢) فراعنة الكتاب المقدس بقلم حبيب سعيد (ص ٧٦)

ومن هنا نبين أن سيدنا يعقوب وأولاده وأحفاده حتى موسى عليه السلام هو وأخوه هارون سكنوا جميعاً منطقة جوشن التى هى منطقة بلبيس فأصبحت مدينة بلبيس بحق بلد الأنبياء والمرسلين .

* * *

لماذا سكن يعقوب ؟

١ - لكن هل كان هناك فاصل بين جوشن وباقى المدن المصرية أو بمعنى أصح هل كان بين منطقة بلبيس وباقى مدن مصر فاصل وحدود بحيث لا يتصل ساكنوا بلبيس بساكنى مدن مصر الأخرى ؟ الحقيقة لا لأن الاتصال كان مستمراً ، ولم تكن العزلة عزلة تامة إذ كان عدد الإسرائيليين يزداد وكلما زاد عددهم زحفوا نحو المدن المصرية .

٢ - أمر الإسرائيليون نساءهم بأن يقترضوا حليا ومجوهرات النساء المصريات لمدة دون أن يطلعوهم على نواياهم الخبيثة وهى سرقة هذه المجوهرات والهرب بها من مصر ، وهذا يدل على أن الإسرائيليين سكنوا قريباً من المصريين واختلطوا اختلاطاً مكنهم من التعامل والإقتراض ، وقد آمن المصريون لهم ولكن الإسرائيليين كانوا خونة .

تقول التوراة فى سفر الخروج (٣/ ٢٢) : « وأعطى نعمة لهذا الشعب فى عيون المصريين » ، فيكون حينما تمضون أنكم لا تمضون فارغين بل تطلب كل امرأة من جارتها ومن قرينة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثياباً ، وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين .

٣ - كان موسى وهارون يذهبان إلى فرعون ليناقشاه فى الأمور الدينية ، وهذا يدل على أن الإسرائيليين كانوا يسكنون مع المصريين ، وكان يوم الزينة دليل ظاهر على وجود الإسرائيليين فى مصر ويعيشون بين أهلها .

ولقد تعلم الإسرائيليون كثيراً من مصر وأخذوا الكثير من العادات المصرية مثل الختان والتطهر من الجنابة ، وقبل دخول المعبد وغيرها .

* * *

موسى = سيدنا موسى
هل هو مصرى أم يهودى (إسرائيلى)

نحن لا ننكر أن سيدنا موسى عليه السلام يهودى الديانة فهو ابن لوالدين يهوديين من قبيلة لاوى .

وكما جاء فى التوراة وكما جاء فى القرآن ولم يكن وثنيا كما كانت ديانة المصريين .

لكن المؤرخين يقولون إنه مصرى المولد والنشأة والتربية ، وقال بعضهم أن كلمة موسى لفظة مصرية شاع استعمالها بمعنى الوليد أو الولد وكان الاسم يطلق مجرداً أو مقروناً بأسماء آلهتهم فى أسماء مركبة مثل رع موسى ، وبتاح موسى أى وليد رع ووليد بتاح ، وقد عرف هذا النظام فى الأسرة التاسعة عشرة[١] .

لكن التوراة خالفت ذلك التفسير وقالت إن كلمة موسى : تعنى المنتشل من الماء حيث أن موسى قد انتشل من النهر بعد إلقائه .

على أن بعض المؤرخين يردون على ما جاء فى التوراة بقولهم إن المصريين يسمون الماء « مو » ، ويقولون للذى يستنقذ من الماء أوسيس .

أما كلمة المنتشل الذى جاءت به التوراة موشه [٢] فلم يعرف إلا فى الأسرة الثلاثين ، وهذا ما نسميه بالتحريف الذى جاءت به التوراة أى أنها أطلقت على موسى بأنه المنتشل ، وهذا المعنى عرف فقط بعد مولد موسى بحوالى ألف عام ، وهذا يدل على أن التوراة التى بين أيدينا كتبت بعد موسى بحوالى ألف عام أما التوراة التى نزلت على موسى فلم يعثر لها على أثر حتى اليوم .

كذلك لم يكن موسى هو الاسم الذى أخذه اليهود فى لغتهم بل استعملوا أسماء مصرية مثل بنحاس وحفنى وبوتى إيل « فوطئيل » ، وكذلك شاعت بينهم أسماء نساء مثل مريم وسوزان [٣] .

* * *

(١) مصر فى القرآن والسنة (ص ٨٨) .
(٢) موشه هو معنى موسى فى التوراة .
(٣) مصر فى القرآن والسنة (ص ٩٠) .

موسى - أين ولد

يرى بعض المؤرخين أن موسى عليه السلام ولد فى رعمسيس عاصمة رمسيس الجديدة التى انتقل إليها [1] . وأن مولده فى أرجح الظن قد وقع بعد العام العشرين من حكم رمسيس حين استقر فى عاصمته فى أعقاب حروب طويلة .

ويكون سيدنا موسى ولد فى منطقة الشرقية أو منطقة جوشن والتى أصبحت بلبيس عاصمة لهذه المنطقة .

يقول القرآن الكريم :

﴿ إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى أن أقذفيه فى التابوت فأقذفيه فى اليم فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لى وعدو له وألقيت عليك محبة منى ولتصنع على عينى﴾[2] .

* * *

الآيات القرآنية

١ - يقول الله تعالى : **﴿قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى﴾[3] .**

٢ - يقول أيضاً : **﴿ اذهبوا بقميصى هذا فالقوه على وجه أبى يأت بصيراً وآتونى بأهلكم أجمعين ﴾ [4] .**

٣ - **﴿ وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون ﴾ [5] .**

٤ - **﴿ وإذا أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم ﴾ [6]**

٥ - **﴿ إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى أن أقذفيه فى التابوت فاقذفيه فى اليم فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لى وعدو له وألقيت عليك محبة منى ولتصنع على عينى﴾[7] .**

وهذه الآيات كلها تدل على أن موسى كان بمنطقة جوشن ، والتى هى بلبيس.

---

(١) انظر الكلام على مدينة تر رعمسيس .

(٢) سورة طه آية : ٣٩ .

(٣) سورة طه آية : ٥٩ .

(٤) سورة يوسف آية : ٩٣ .

(٥) سورة البقرة آية : ٥٠ .

(٦) سورة البقرة آية : ٥٠ .

(٧) سورة طه آية : ٣٩ .

سيدنا عيسى عليه السلام فى بلبيس

كانت فلسطين أمام مولد سيدنا عيسى تحت حكم ملك ظالم اسمه هيرودس ، وقد أخذ يقتل جميع الأطفال المولودين فى عصره لأنه رأى فى المنام أن طفلا سيولد وسينزع الملك من يده ، وصادف وقت الحلم ولادة سيدنا عيسى وخافت أمه السيدة مريم العذراء على ابنها سيدنا عيسى فتوجهت إلى مصر هرباً من هذا الملك الجبار .

وصل سيدنا عيسى مع أمه إلى مصر واتخذ طريقا إلى عين شمس ماراً بمدينة بلبيس ، وأقام فيها بعض الوقت كما أمضى ليلة أخرى فى بلدة غيتة وكانت تسمى غيفة فى ذلك الوقت واستراح تحت شجرة وحل على هذا المكان بركات هذا النبى ، وسميت شجرة العذراء حتى أن القبط والمسلمين كانوا يفضلون دفن موتاهم فى هذه البقعة ، وجاء ذكر هذه الشجرة فى كتاب رؤية مصرية [١] .

كان جنود نابليون بونابرت يريدون قطع هذه الشجرة لاستعمال أخشابها للتدفئة ولكن فوجئوا أنه عند وضع الفأس لقطع الشجرة - أن بدأ الدم يسيل من الشجرة، فخاف الجنود وارتاعوا وتوقفوا عن قطعها فى الحال [٢] .

ثم غادرت السيدة مريم مدينة بلبيس هى وابنها سيدنا عيسى ، وقد حلت على أهل بلبيس البركة والخير ، واتجهت إلى منية جناج ومنها إلى سمنود .

ولزيادة الإيضاح عن هذه الرحلة ينقل ما جاء بشأن رحلة السيدة مريم وابنها.

« جاء المسيح عيسى بن مريم إلى مصر وعمره لا يتعدى شهوراً قليلة فى صحبة والدته السيدة مريم العذراء ويوسف النجار طلباً للنجاة من الملك هيرودس الذى كان ينوى إهلاك المسيح عيسى بن مريم عليهما السلام ، وكان هناك طرق ثلاثة اتخذت مريم أسهلها وآمنها ذلك هو طريق الشمال ، وهو طريق الفرع البلوزى وسارت آخذة طريق بلبيس بمحاذاة الترعة القديمة بين النيل والبحر الأحمر بمحاذاة

---

(١) العائلة المقدسة تأليف د . رؤوف حبيب (ص ٤) .

R Visions E . Par R. Uralion P . 92 .

ترعة الإسماعيلية الآن ثم سارت إلى بابليون (القلعة الرومانية) بمصر القديمة إلى منف (ميث رهينة الآن) [1] .

الطريق الذى سلكه سيدنا عيسى عند مجيئه إلى مصر هناك ثلاث طرق تؤدى إلى الوصول إلى مصر لكن أسهلها هو طريق الشمال .

كان طريق الشمال هو الذى سارت فيه القوافل والحملات العسكرية المصرية والبابلية القديمة ، وسماه الكتاب المقدس طريق أرض فلسطين وهو أسهل الطرق، وهذا الطريق يمر بغزة ثم رفح « رافيا » قديماً ، وثم العريش « أرنوكلورا قديماً »، ثم جرة على ساحل بحيرة سبريونيس « البردويل » [2] ، ومنها إلى الفرما جنوب بورسعيد وشمال القنطرة ، ثم بلدة زارو [3] ، ثم تحفنيس وهى تل الدفنه الآن إلى فاقوس على فرع النيل البيلوزى (بحر البقر) الآن ، ومنها فى اتجاه الجنوب إلى بابليون « مصر القديمة » ، عن طريق اتريب أو عن طريق بلبيس بمحاذاة القناة القديمة بين النيل والبحر الأحمر بمحاذاة ترعة الإسماعيلية الآن ، ثم بابليون القلعة الرومانية بمصر القديمة ، ثم إلى منف (ميت رهينة الآن) .

جاء فى كتاب سياحة « انطونيوس » بعد أن عبر شبه جزيرة سيناء وصل إلى سربيوم ، ثم أقليم المستنقعات والبحيرات ، ثم غرباً مع القناة القديمة من البحر الأحمر والنيل ومنها إلى بيتوم ، ثم تل الرطابة قرب التل الكبير فوادى الطميلات ، ومنها إلى مدينة « أون » « عين شمس » الحالية ، ثم منف ، ثم أسيوط .

فإذا كان المسيح قد اتخذ طريق القناة التى توصل بين البحر الأحمر والنيل فمعنى ذلك أنه قد سار مع هذا الطريق ، وهو الذى يمر ببلبيس وهذا يرجح أن سيدنا عيسى عليه السلام مر بمدينة بلبيس .

* * *

---

(١) مجلة المصور ٢٣ إبريل (ص ٨٢) .

(٢) البردويل : بحيرة كانت منطقتها تحت حكم بلدوين ، ولما انتصر صلاح الدين على الصليبيين أطلق المسلمون عليها اسم بحيرة البردويل بدلاً من « بلدوين » .

(٣) زارو : قد تكون بلدة نارو وتقع مكان القنطرة .

رحلة العائلة المقدسة فى مصر

بقلم : البابا شنودة الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

عاش السيد المسيح فى فلسطين ، لم يغادرها إلى أى أقليم آخر ، والإقليم الوحيد الذى انتقل إليه غير أرض موطنه هو مصر ، أتى إليها فى طفولته مع السيدة العذراء مريم والدته ، ومعهما يوسف النجار .

كان السبب هو أن جماعة من المجوس أتوا من المشرق إلى أورشليم « القدس » بعد مولد السيد المسيح بقليل . وقالوا : « أين هو المولود ملك اليهود ، فإننا رأينا نجمه في الشرق ، وأتينا لنسجد له » ، فخاف هيرودس الملك ، وحسب هذا المولود منافساً له ، ولما لم يستدل عليه أمر بقتل جميع أطفال بيت لحم ، البلدة التى ولد فيها المسيح لعله يكون ضمن هؤلاء المقتولين ، وهكذا انتقلت العائلة المقدسة كلها إلى مصر ، بناء على رؤيا مقدسة وأمر إلهى .

أتوا إلى مصر من الشرق طبعاً مارين على العريش والفرما ، ولم يسيروا فى خط واحد يمكن تتبعه ، ولم يستقروا فى مدينة واحدة ، وكانت المدن الكبيرة التى مروا بها حوالى عشرين مدينة أو منطقة غير القرى العديدة التى فى الطريق . . . كما كانوا يعبرون النهر إلى الشرق أحياناً ، وإلى الغرب أحياناً أخرى .

ونستميح القارئ عذراً – من أجل تسهيل الموضوع عليه – أن نذكر كل تلك الأماكن بأسمائها الحالية على قدر الامكان حتى لا يرتبك فى أسماء كثيرة لا يعرفها ، وغير موجودة على الخرائط الحالية إننا لا نريد لهذا المقال أن يكون موضوعاً علمياً بحتاً إنما نريده مبسطاً على قدر الإمكان .

رحلة العائلة المقدسة شملت مناطق فى الوجه البحرى ، وأخرى فى الوجه القبلى أقصى ما وطأته تلك الأقدام المقدسة فى شمال مصر كان العريش شرقاً ، ومدينة سخا غرباً (من محافظة كفر الشيخ) وأقصى ما وصلوا إليه جنوباً كان محافظة أسيوط (جبل قسقام ، وربما جبل أسيوط أيضاً) .

وهكذا تقدست كثير من بلاد مصر ، بزيارة المسيح والسيدة العذراء .

* * *

رحلة سيدنا عيسى إلى مصر ومجيئه إلى بلبيس

جاء في مجلة الهلال بشأن رحلة سيدنا عيسى إلى بلبيس ما يأتى :

ومن مسطرد انتقلت العائلة المقدسة شمالاً بشرق إلى بلبيس ، واستظلت عند شجرة عرفت باسم شجرة العذراء مريم ، وصارت أسقية فيما بعد ومرت العائلة المقدسة على بلبيس أيضاً في رجوعها .

وجاء أيضاً بشأن رجوعه إلى فلسطين ما يأتى فمثلاً مرت الرحلة على بابليون ومسطرد وبلبيس ، ولم تكن محتاجه أن تدخل في الدلتا إلى سمنود وإنما من الممكن أن تتجه من بلبيس مباشرة إلى الفرما والعريش (١) .

* * *

عمرو بن العاص في مصر

دخل عمرو بن العاص مصر سنة (٦٤١م) على رأس جيش المسلمين يبشر الدين الإسلامى لكن الروم قاتلته فاضطر إلى قتالهم دام القتال نحو شهر كان النصر حليفاً للمسلمين ، وقد عامل عمرو بن العاص أهل بلبيس معاملة حسنة كان له الأثر الجميل عندهم وعرفوا كيف تكون معاملة الناس فأحبوه وعاونوه ضد الرومان .

* * *

السيدة زينب في بلبيس

السيدة زينب رضى الله عنها هي بنت الإمام على كرم الله وجهه . وهى حفيدة سيدنا محمد ﷺ ، وأمها السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله سيدنا محمد ﷺ .

ولدت السيدة زينب رضى الله عنها في السنة الخامسة من الهجرة أى سنة (٦٢٦م) ولما كبرت خطبها ابن عمها عبد الله الصحابى الجليل .

وقفت تجاهد في سبيل الله وتدافع عن الإسلام ، ووقفت مع أخيها سيدنا الحسين موقف العظماء وأظهرت من الشجاعة والبطولة ما جعلها من الأبطال العظماء .

---

(١) مجلة الهلال - يناير (ص ١٩٨٦) .
وكتاب العائلة المقدسة في مصر تأليف د . رؤوف حبيب .

مكثت فى المدينة المنورة بعض الوقت ولكن رغبت فى أن تختار مصر سكنا لها فوصلت مصر سنة (٦١ هـ) ، وقد استقبلها أهل مصر بالترحاب وخرج المصريون يتقدمهم الولاة والفقهاء والعلماء ليستقبلوها بما يليق بمكانتها، وكان ذلك عند بلدة العباسة ، وكانت هذه القرية على طريق مصر والشام شرق مدينة بلبيس (١) .

ثم واصلت السير إلى بلبيس وقام أهلها يستقبلونها بالحفاوة والتهليل يتقدمهم مسلمة بن مخلد والى مصر وبعد أن استراحت مدة من الزمن واصلت السير إلى الفسطاط (القاهرة الآن) واتخذت مكانها المعروف الآن وعاشت ما يقرب من سنة ثم توفيت سنة (٦٢ هـ/ ٦٨٢م) ، وما زال مسجدها قائماً ومعروفاً فى الحى الذى سمى بحى السيدة زينب رضى الله عنها (٢) .

* * *

(١) رسائل الجيب الإسلامية - السيدة زينب رضى الله عنها (ص ٤٦) .
(٢) السيدة زينب رضى الله عنها - تاريخ حياتها تأليف على أحمد شلبى .

الباب الرابع
العلماء والرحالة

العلمـــاء

ظهر من بين أهل بلبيس علماء أفاضل قاموا بخدمات جليلة فى النواحى المختلفة سواء كانت دينية أو اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية ، وسنفصل تاريخ بعض هؤلاء العلماء على سبيل المثال لا الحصر :

الشيخ عبد الله الشرقاوى

ولد الشيخ عبد الله الشرقاوى سنة (١١٥٥ هـ / ١٧٤٢م) فى بلدة القرين التابعة لمركز بلبيس ثم انتقل إلى القاهرة ليحصل على تعليمه فى الأزهر الشريف، وبعد تخرجه أخذ يرقى فى مناصب عدة وتوفى سنة (١٢٢٧ هـ / ١٨١٢م) .

نشأ الشيخ الشرقاوى فى عهد الأمراء إبراهيم بك رضوان وعلى بك الكبير ثم مراد بك وإبراهيم بك .

وقف الشيخ الشرقاوى يدافع عن حقوق الشعب بكل ما أوتى من قوة فوقف فى وجه مراد بك وإبراهيم بك ، ولو أنه كان يميل إلى السلم وكان يشترك فى المفاوضات بهدف حل المشاكل بالطرق السلمية .

وقد تولى عدة مناصب أهمها :

١ – عين رئيساً للمجلس الوطنى الذى أنشأه نابليون بونابرت .

٢ – انتخب عضواً فى الديوان العام الذى أنشأه نابليون بمهمة أخرى غير المجلس الوطنى سنة (١٢١٣) ، ثم تغير نظام الديوان واصبح يتكون من المسلمين فقط فى عهد الجنرال مينو ، وعين الشيخ الشرقاوى رئيساً للديوان .

٣ – وقف يعارض مراد بك وإبراهيم بك عندما قام أهل بلبيس بثورة .

٤ – وقف يعارض محمد على باشا عندما أراد النصح له .

٥ – تولى مشيخة الأزهر .

* * *

الإمام البوصيرى

هو الإمام الجليل العلامة العارف بالله الصادق فى محبة رسول الله سيدى محمد بن سعيد بن حماد بن محسن بن عبد الله بن صهاج بن هلال الصنهاجى.

كان أحد أبويه من دلاص والآخر من بوصير « وهما بلدان من محافظة بنى سويف » فنسب إليهما ولكن اشتهر بالبوصيرى .

ولد رحمه الله ورضى عنه يوم الثلاثاء أول شعبان سنة (٦٠٨) ، وتوفى سنة (٦٩٥ هـ) ببلده دلاص وقضى زمن طفولته كما يقضيها أصحابه فى تعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم ، ثم ترعرع فى دراسة الأدب فبرز فى الشعر والنثر ونال محبة الكبراء فولوه بعض الأعمال الكتابية ببلبيس .

مكث البوصيرى فى بلبيس ليمارس عمله ، وفى أثناء ذلك اتصل بإمام العارفين أبى العباس المرسى تلميذ سيدى أبى الحسن الشاذلى فصلح أمره وتخلص لعبادة الله وفتح عليه فى مدح الرسول ﷺ بقصائد من الشعر هو السحر الحلال.

ويروى الإمام البوصيرى عن سبب نظمه بردته السنيه والتى نظمها فى حب الرسول ﷺ أنه أصيب بالفالج « الشلل » فاقعده هذا المرض عن العمل فنظمها متوسلاً إلى الله مستشفعاً برسول الله فى شفاء علته وأنه رأى رسول الله فى منامه وتلاها فمسح جسمه بيده الطاهرة ، وألقى عليه بردته فأصبح وقد زال ما به وانطلق يمشى كعادته فصادفه رجل صالح يعرفه فسأله عن القصيدة التى نظمها فى مدح الرسول ﷺ ، فدهش لسؤاله لأنه لم يكن أطلع أحد عليها فاستفهمه طريق علمه فقال إنه سمعه يتلوها فى الرؤية على الرسول عليه السلام .

وممن أخذوا عن الإمام البوصيرى أبو حيان واليعمرى وأبو الفتح بن سيد الناس والعز بن جماعة [١] .

* * *

---

(١) البردة المباركة للإمام البوصيرى - كتاب التحرير سنة (١٣٨٢) القاهرة .

الشيخ زكريا الأنصارى

ولد الشيخ زكريا الأنصارى فى بلدة سنيكه التابعة لمركز بلبيس ولد حوالى سنة (٨٢٥ هـ / ١٤٢٠م) ومات (٩٢٦ هـ) .

وعاصر أواخر حكم المماليك وخصوصا عصر قايتباى والغورى وطومان باى كما أنه عاصر الفتح العثمانى لمصر كما أنه عاصر ابن الفارض الصوفى العالم ، ثم اشتغل بالتدريس ثم قاضيا إلى أن أصبح قاضى قضاة الشافعية والملقب بشيخ الإسلام (١) .

وله جامع فى مدينة بلبيس باسمه ، وله كتاب القياس فى القرآن . وقد كف بصره قبل وفاته (٢) .

* * *

الشيخ فخر الدين البلبيسى

ولد الشيخ الإمام المقرئ فخر الدين عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان البلبيسى الشافعى الضرير سنة (٧٢٥) بمدينة بلبيس ، وتوفى سنة (٨٠٤) فى زمن حكم السلطان فرج (٣) .

وكان إماما لجامع الأزهر وشيخ القرآن فيه .

* * *

الشيخ القمحاوى

الشيخ محمد القمحاوى محمد كان من العلماء وشاعراً ومتصوفاً سمى بالقمحاوى نسبة إلى بلد أجداده منيا القمح ، وكانت قرية تابعة لمركز بلبيس .

ولد القمحاوى فى بلبيس واتخذها موطنا له ، وقد تتلمذ على يد الشيخ الحفنى وغيره ، وقد عثرنا على كتاب من كتبه مكتوب باليد يتألف من ثلاثة أجزاء

---

(١) رسالة ماجستير لأحد طلبة الأزهر .

(٢) تراث مصر فى الحضار الإسلامية للدكتور عبد الرحمن زكى . وكذلك كتاب الضوء اللامع (جزء ٢/ ص ٤٣٥) .

(٣) النجوم الزاهرة (جزء ١٣/ ص ٢٧) .

تحتوى على نفائس فى أغراض دينية شتى مدعمة بأسانيد صحيحة من الكتاب والسنة ذاكراً منزلة كل حديث ، وله أبيات رائعة غزيرة المعانى خصوصاً ما كان فى مدح النبى ﷺ .

يقول الشيخ القمحاوى أنه تعب تعباً كبيراً فى تأليف هذا الكتاب لعدم وجود الوسائل المعينة واشتغاله فى السعى على رزق عائلته لفقره وعسره ، وكان الفراغ من تأليف هذا الكتاب يوم الثلاثاء المبارك الموافق السابع عشر من شهر رجب سنة (١٢٠٦) على يد مالكه العبد الفقير إلى الله تعالى محمد بن الشيخ مصطفى عاشور نور الدين غفر الله له ولوالديه والمسلمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى أهله وسلم [١] .

* * *

الشيخ عبد الحليم محمود

ولد الشيخ عبد الحليم محمود سنة (١٩١١) ببلد غيتة التابعة لمركز بلبيس وبعد أن تخرج من الأزهر الشريف سافر إلى باريس ونال شهادة الدكتوراة ، ثمْ عين أستاذ بإحدى كليات الأزهر ، وبقى بها حتى عين شيخاً للأزهر ، ثم توفاه الله وكان رحمه الله عالماً تقياً ورعاً متصوفاً .

* * *

(١) نقلنا هذه الترجمة من كتاب موجود لدى صديقى الأستاذ عباس السيسى مفتش بالمدارس الأولية .

الرحـــــالة

زار مدينة بلبيس عدد لا بأس من الرحالة ولحسن الحظ تراهم وقد دونوا بعض ما شاهدوه فكان ما كتبه هؤلاء الرحالة مرجعاً هاماً لتاريخ هذه المدينة التاريخية الباسلة .

ومن بين هؤلاء الرحالة العرب :

١ - أسامة بن منقذ :

الذى جاء من الشام إلى مصر فى أواخر دولة الفاطميين فى عهد الظافر سنة (٥٤٤ هـ / ١١٤٩م) .

وعندما استقر فى القاهرة قامت الحوادث المؤسفة وقد أصابه منها الشيء الكثير فاضطر إلى أن يرجع إلى الشام ، وأخذ عائلته معه ، ولكنه عندما وصل بلبيس لم يتمكن من المسير فرجع إلى المنيا فى صعيد مصر حيث كانت الحالة أهدأ[١]

٢ - أحد الرحالة اليهود واسمه الحاخام مشولام ابن مناحم :

جاء إلى مصر فى سنة (١٤٨١) ، وأخذ يصف كثيراً من المدن المصرية وكانت مدينة بلبيس ضمن المدن التى وصفها فنراه يقول : انتقلنا من مصر (القاهرة) متخذين الطريق الموصل من مصر إلى غزة وبدأ السير فى قافلة من مصر فوصلنا الخانكة ، وهى تبعد عن مصر حوالى ميلين وكانت مدينة محصنة ، وقد أطلق عليها اسم رفيديم [٢] ، وكان يسكن الخانكة حوالى عشرين عائلة يهودية ثم انتقلنا إلى بلد اسمها شاور، وهى على مشارف الصحراء وتبعد عن الخانكة ستة أميال ثم غادرنا شاور إلى مدينة كبيرة تسمى بلبيس ، وهى محصنة ويطلق عليها جوشن قبل مدينة الخانكة ، ولما وصلناها وكان مساء يوم الجمعة وهو نفس اليوم الذى بدأ رحلته من مصر ، وفى مدينة بلبيس تقابلت من بعض اليهود المقيمين بها وكان ثلاثة عائلات ، وهم من كبار رجال الأعمال ، وقد أمضيا ليلة السبت فى

---

(١) أدب الرحلات عند العرب فى المشرق تأليف على محسن عيسى مال الله بغداد .

(٢) رفيديم اسم مدينة قديمة منذ أيام الفراعنة لكنها تهدمت وبنيت من جديد تحت اسم الخانكة .

الباب الخامس
السياحة فى بلبيس

بلبيس بلد سياحى

تعتبر بلبيس من أهم المدن السياحية سواء للأجانب أو المصريين لأنها منطقة دينية وآثار وصحية .

● لماذا كانت لها الأهمية الدينية :

إن مدينة بلبيس كما قلنا تعبر عن تاريخ منطقة قديمة استقبلت الأنبياء والرسل والصحابة الذين تركوا آثاراً لا تنسى ، فكان ولا بد أن تصبح هذه المدينة مزاراً دينيا فقد مر بها سيدنا إبراهيم واستوطن سيدنا يعقوب منطقة جوشن وولد بها سيدنا موسى كما أمضى بها سيدنا عيسى بعض الوقت .

أما فى عصر الإسلام فقد أتى الكثيرون من الصحابة أمثال سيدنا عمرو بن العاص ، ومن جاءوا معه من الصحابة أضف إلى ذلك تشرفت بلبيس بمقدم السيدة زينب رضى الله عنها ، واستقبلت باحتفال يليق بمقامها الشريف .

* * *

بلبيس منطقة آثار

كانت بلبيس منذ نشأتها المركز الإدارى لمنطقة الشرقية ، وظلت هكذا حتى عصر حكم محمد على كما كانت منطقة تل بسطة المركز الدينى والذى يحتوى على الآثار الكثيرة ، والتى مازلنا حتى يومنا هذا نشاهدها فى هذه المنطقة .

* * *

المساجد

المعروف تاريخياً أن بلبيس أول من استقبلت سيدنا عمرو بن العاص وقد أمضى بها ما يقرب من شهر كان خلالها يؤدى هو ومن معه من رجال جيشه - الصلاة- فكانت أرض بلبيس أول مصلى للمسلمين فى مصر ثم أنشئ بعد قرن من الزمان جامع السادات ، وقد أنشئ عندما هاجرت بعض القبائل العربية إلى بلبيس .

المسجد الكبير أو مسجد المنسى :

أنشئ هذا المسجد أيام العزيز بالله الخليفة الفاطمى وكان كثيراً ما يتردد عليه ، وقد أنشأ بجواره حماماً كان يستعمله عند زيارته للمدينة حتى أن الخليفة عندما مرض حضر إلى بلبيس واستخدم الحمام ليجد فيه راحته .

وقد قام بتوسيع هذا المسجد ولى الله الشيخ مصطفى المنسى نائب الشيخ عبد الله الشرقاوى شيخ الجامع الأزهر وزعيم مصر أثناء الحملة الفرنسية على مصر .

* * *

القيسارية

القيسارية : هى عبارة عن شارع مسقوف بالخشب وعلى جانبى الشارع تقام منازل كل منزل مكون من طابقين (دورين) - الطابق الأول (الأسفل) عبارة عن دكاكين لبيع السلع المختلفة للزبائن .

أما الطابق (الدور) العلوى فيخصص للسكنى سواء لصاحب الدكان أو يؤجر لشخص آخر .

وهذا الشارع المعروف بالقيسارية يشترط له شروطه :

١ - أن يكون عرضه لا يزيد عن طول الخشب .

٢ - أن تكون الطوابق العليا لا تعلو ما يقابلها من الجانب الآخر حتى يكون السقف متساوياً .

٣- يعمل بعض مواسير بحيث تصرف مياه المطر .

٤ - يحسن أن يكون السقف من الخشب وليس من الصاج والغرض من السقف حماية الدكاكين من المطر ومن حرارة الشمس .

هذا النوع من الشوارع تشاهده فى بلاد كثيرة مثل العراق ودمشق .

أما فى مصر فتشاهد القيساريات فى القاهرة بشارع الخيمية حيث الشارع ما زال مسقوفاً حتى أيامنا هذه ، وقد أدخل نظام القيساريات فى مصر فى عصر الفاطمين ثم انتشر كثيراً فى عصر المماليك .

وكان من حسن حظ مدينة بلبيس أن استخدمت هذا النوع من القيساريات ، وكان بها أهم شارع واسمه شارع القيسارية ويعتبر من أهم معالم مدينة بلبيس وفى الغالب يكون شارع القيسارية سوق هام لكل مدينة .

موقع استراتيجي ومواصلات :

شهدنا كيف كانت بلبيس أرض معارك حربية كثيرة نتيجة موقعها الحسن على الطريق الموصل من مصر إلى الشام ، فكان الكثيرون يذهبون إلى تلك المنطقة لمشاهدة قتلاهم أو الاطلاع على أخبار المعارك كما أن هذه المنطقة كانت محط رجال الحجاج كانوا يمضون بعض الليالى فى بلدة غيته المجاورة لمدينة بلبيس .

منطقة : ملجأ للهروب :

نشاهد كثيراً من رجال الدولة والكبراء يفضلون اللجوء إلى بلبيس عندما تحل بهم نكبة أو عند خوفهم من لقاء عدو ، وهذا ما شاهدناه عند هروب إبراهيم بك الكبير من وجه نابليون بونابرت .

ويقول الجبرتى المؤرخ : « إن الفرنسيين طلبوا إبراهيم بك بسبب الأمارة للحج ولكن إبراهيم بك أجابهم بأن يحضروا إليه فى بلبيس » .

وجاء أيضاً أنه عندما هرب محمد بك الألفى الكبير واختفى - كان مختفياً بشرقية بلبيس برأس الوادى عند شخص من العربان .

ويضيف الجبرتى المؤرخ قوله : « ركب بعض العسكر الواردين وخرج محمد على وحسن بك والعساكر والخيالة والرجالة إلى جهة بلبيس » .

* * *

العظماء فضلوا اللجوء إلى بلبيس

١ - حاتم بن هرثمة بن أعين : (١٩٤ - ١٩٥ هـ / ٨٠٩ - ٨١٠م)

كان أهالى الحوف وعاصمته بلبيس قد ثاروا لفداحة الضرائب ولكن الوالى من قبل الخليفة هارون الرشيدى سار إلى بلبيس ونزل بها وبعد مناقشات صالح أهلها على قيمة الخراج (الضرائب) .

٢ - المطلب بن عبد الله : (١٩٩ هـ / ٨١٤م)

عندما عين والياً هرب الجروى إلى تاتنيس ، وانضم عبد الله بن العباس بن موسى إلى عباد بن محمد فآواه ، ومنع منه وأقبل العباس بن موسى بن عيسى من مكة إلى الحوف فنزل فى بلبيس ودعا قيسا إلى نصرته ، ثم مضى الجردى إلى تاتنيس .

العظماء الذين فضلوا زيارة بلبيس

الخليفة العزيز بالله الفاطمى :

كان الخليفة قد خرج إلى بلبيس ليتوجه إلى الشام للحرب ولكن أصابته علة ففضل البقاء فيها للشفاء ، وكان يدخل الحمام المقام بالمدينة مراراً ولكن المنية عاجلته ، وتوفى وهو يستحم فى الحمام كان ذلك سنة (٣٦٨ هـ) .

وصل الناصر إلى بلبيس ومسك جمال الدين الأستادار وأخذ ماله وقتله .

عندما ثار بعض النواب على السلطان فرج أرسل تجريدة إلى الشام ، وعلى رأس التجريدة الأمير تمراز الناصرى النائب وآقباى وغيرهما ، وخرجوا من القاهرة قاصدين غزة ، وعند وصوله بلبيس أقام تمراز الأمير ومن معه في بلبيس أياما ثم عاد إلى القاهرة .

وجاد أيضاً وأما السلطان فرج فإنه لما خرج من مدينة غزة سار منها حتى نزل قرية غيتا خارج مدينة بلبيس [١] .

السلطان المؤيد شيخ :

عندما أراد السلطان مقابلة ابنه الآتى من الشام انتقل إلى بلبيس حيث تمكن من مقابلته لكنه سافر إلى الصالحية حيث ينزل ابنه .

أضف إلى ذلك أن المؤيد شيخ أيام أن كان أميراً لدى السلطان فرج نزل بلبيس وقوبل بالترحاب . وجاء أيضاً « إنه لما علم بوصول شيخ المذكور إلى مدينة بلبيس خرج إليه المطبخ السلطانى وتلقته الأمراء » [٢] :

عندما انهزم المصريون بزعامة مراد بك فر إبراهيم بك إلى العادلية المجاورة لمدينة بلبيس .

يقول الجبرتى لما انهزم العسكر الغربى حول الفرنسيس المدافع والبنادق على البر الشرقى وضربوهم ، وركب فى الحال إبراهيم بك والباشا والأمراء والعسكر والرعايا متوجهين إلى العادلية قرية بجوار بلبيس ، ولما استقر إبراهيم بك فى العادلية أرسل إلى حريمه ليحضروا [٣] .

---

(١) غيتا بجوار بلبيس .
(٢) النجوم الزاهرة (١٣/ ٥٣).
(٣) الجبرتى (جزء ٣/ ص ٩٠) .

زيارة إبراهيم باشا لمدينة بلبيس :

حضر إبراهيم باشا إلى بلبيس هو وجميع من معه من حاشيته وذلك سنة (١٢٣٦ هـ) .

* * *

بلبيس منطقة صحية

إن موقع بلبيس الجغرافى قد أعطاها ميزة عن غيرها ، وهى تمتعها بالهواء النقى لوقوعها بالقرب من الصحراء الخالية من كل تلوث ، وهذا مما جعل الكثيرين يفضلون قضاء بعض الوقت بها ويقص لنا التاريخ كيف أن حاكم مصر المقوقس أرسل ابنته إلى بلبيس لقضاء فصل الصيف بها وكيف أن سيدنا عمرو بن العاص أرسلها إلى أبيها معززة مكرمة مما جعل المقوقس يشهد بعدل الإسلام وتسامحه .

ونرى أيضاً بعض الخلفاء يمضون بعض أوقاتهم فى بلبيس ، وهذا هو الخليفة الفاطمى يمضى فترات من وقته فى بلبيس وليستحم فى حمامه المشهور .

أضف إلى ذلك أن الله سبحانه وتعالى وهب بلبيس برمال صحية استعملت كحمام شمس يذهب إليها الكثيرون إلى هذه المنطقة كل عام ليستشفوا ويعودوا إلى أوطانهم وقد شفوا .

* * *

الحمامات

يفرض الدين الإسلامى أن يكون الإنسان نظيفاً فى بدنه فالنظافة من الإيمان كما أن الاستحمام واجب فى حالة أن يكون الشخص جنبا وحتى لا يقرب الصلاة إلا إذا كان طاهر الجسم .

كان على الإنسان أن يستحم وعليه أن يستحم مرة كل أسبوع على الأقل كما قال علماء مصر قديماً ثم جاء الدين الإسلامى ، وحث على النظافة والطهارة وأدى كل ذلك إلى إقامة الحمامات العامة فانتشرت فى المدن ، وكان بمركز بلبيس حمامات لها شهرة كبيرة ، واشتهرت حمامات بلبيس عن غيرها من الحمامات إذ أن بعض الخلفاء كانوا يفضلونها على غيرها ، والدليل على ذلك أن قص علينا المؤرخون أن الخليفة العزيز بالله الفاطمى كان يفضل حمامات بلبيس حتى أنه

عندما مرض ذهب إلى حمامات بلبيس للاستشفاء ومكث بها كثيراً مما دعا بعض المؤرخين إلى القول بأنه مات وهو يستحم ، هذا وبقى مكان الحمام موجوداً للآن، وكان يعتبر من آثار بلبيس ، ومن مؤسستها الاجتماعية والاقتصادية ومما دعا إلى انتشار الحمامات بعض الفوائد لإقامة الحمامات منها على سبيل المثال .

١ – كان يستعمل لتجهيز فول المدمس .

٢ – استخراج التراب أو الرماد المستخرج من الوقود ، وهذا الرماد كان يستعمل فى البناء ، وكان يقوم مقام الأسمنت فى هذه الأيام .

٣ – أن كل ما تبقى من أخشاب أو « زبالة » كان تؤخذ إلى الحمام ويلقى بها فى النار ، وتقوم مقام الغاز والكهرباء فى هذه الأيام . هذا بخلاف أنه مؤسسة تعمل على نشر النظافة الجسمانية .

* * *

الصحراء الشرقية

تقع مدينة بلبيس غرب الصحراء الشرقية والممتدة حتى البحر الأحمر وهذه الصحراء تؤثر باتساع مساحتها تعطى جواً نقياً خالياً من كل شىء فليس به أتربة أو قاذورات .

هذه الصحراء كانت تستعمل حتى وقتنا هذا كحمام شمس حيث أن الكثيرين كانوا يأتون إلى صحراء بلبيس ويدفنون بعض أجزاء من جسدهم ليشفوا من أمراض كثيرة أهمها الروماتزم ، وكانت هذه الصحراء تقوم مقام الحمامات الكبريتية .

* * *

القنوات المائية فى بلبيس

لقد وهب الله مدينة بلبيس مركزاً ممتازاً إذ حباها الله بترعتين كبيرتين هما ترعة الإسماعيلية والثانية ترعة الشبينى وهما يحدان المدينة فهى تقع بين هاتين الترعتين فكأنهما يقومان بتنقية هواء المدينة ، وهذا من فضل الله على البلدة الطيب أهلها فشكر الله على نعمه .

* * *

الباب السادس
طرق المواصلات

الطرق فى منطقة جوشن
فى العصور القديمة والحديثة

إن موقع جوشن يعتبر من أهم المناطق الاستراتيجية فى مصر ذلك أنه يعتبر الباب الأول لمصر حيث يقع شرقى الدلتا ، والذى يصل مصر بقارة آسيا .

وكان لا بد على الحكومات المصرية قديماً وحديثاً أن تهتم بهذه المنطقة إذا كان الغزاة يدخلون مصر من هذه المنطقة ، ومن هنا كان على ملوك مصر تحصينها بشتى الوسائل فكانوا يقيمون الأسوار والحاميات وكانوا أيضاً يقيمون الطرق التى تصلح لسفر الجيش المصرى عند غزوه للدول الأجنبية .

كان الفراعنة يقيمون عاصمة ملكهم فى منطقة جوشن فأقاموا رعمسيس وأواريس وغيرها .

كذلك أقاموا الحصون والأسوار التى تحمى مصر من الغزاة والهاربين من العدالة .

أما الطرق فاهتم بها ملوك مصر سواء فى عصر الحكم الفرعونى أو الإسلامى .

وسنتكلم عن بعض هذه الطرق :

أهم الطرق :

١ – الطريق الشمالى إلى رفح .

٢ – طريق يسير شمالا إلى بئر سبع .

٣ – طريق الجنوب الشرقى إلى العقبة .

٤ – طريق جهة الجنوب إلى العقبة .

٥ – طريق الجنوب إلى مناجم الذهب .

٦ – طريق من تانيس إلى قنطير (رعمسيس) وهى فاقوس الحالية إلى بلدة تل هى قريبة من بلدة القنطرة الحالية ، ثم إلى رفح ، وهذا الطريق لم يسلكه اليهود

وقت هروبهم إلا أنه طريق تاريخى ، وهو الذى استعملته الحكومات الحالية عند إنشاء خط سكة حديد مصر / فلسطين .

وقلنا إن اليهود لم تسلكه لأنه قريب من الحصون المصرية ، والتى كان تحت التفتيش والمراقبة المصرية .

٧ - هناك طريق جهة الشمال ، وهو الذى مر به سيدنا إبراهيم عليه السلام كما مر به سيدنا يعقوب [١] ألا وهو طريق شور ، ويقع بين بحيرة التمساح وبحيرة الحوله .

طرق داخل مصر :

كانت هناك طرق عديدة داخل مصر ، وقد عمد الأعداء لاستخدامها فى غزواتهم على مصر ، وكان من أهم هذه الطرق هى :

١ - طريق الإسكندرية القاهرة ، وكان طريقا مائيا يسير فى إحدى فروع النيل.

٢ - طريق دمياط وكان قليلاً ما يختاره الغزاة ، ولو أن دمياط كانت من أهم الموانى المصرية ، ولو أن الصليبيين قد استعملوه ، ولكن لهذا الطريق عيوب منها وقت الفيضان أو قلة الفيضان مما يعيق الملاحة .

٣ - طريق يبدأ من بلوز والفرما حتى مدينة بلبيس ، ولهذا الطريق ميزات :

(أ) أقصر من الطريقين الآخرين .

(ب) أقرب الطرق الموصلة إلى القاهرة ، وهى هدف الغزاة فمثلاً إذا وصل الأعداء إلى بلبيس ، والتى تقع على هذا الطريق ، فإن العدو يكون قد قرب من القاهرة .

يقول الرحالة ستانلى لين بول فى هذا الصدد :

كان لميناء دمياط أهمية كبرى ، ولكنها لم تكن منطقة تصلح للسير منها للقاهرة وهى الهدف من الغزو والهجوم على القاهرة .

* * *

---

(١) التوراة / سفر الخروج (١٣/١٧) ، (١٥/٢٢) ، سفر العدد (٣٣/١٨) .

طريق الإسكندرية / بلبيس / غزة

كان المسافر من الإسكندرية إلى غزة - كان عليه أن يسافر أولاً من الإسكندرية إلى بلبيس ومن بلبيس إلى غزة ثم إلى الشام .

فكانت بلبيس ملتقى الطرق بين دولتين مصر والشام أو هي ملتقى قارتين أفريقيا وآسيا أو بين الشرق والغرب .

ومما يدل على أهمية هذا الطريق أنه لما أمر السلطان حقمق سنة (٨٤٣م) بإحضار المسجونين وغيرهم من الإسكندرية إلى بلبيس لينضموا إلى الجيش ، وندب الأمير استباى الطيارى لإحضارهم سافر إلى الإسكندرية ، وأخذ المسجونين وعاد بهم إلى بلبيس ، ومن ثم إلى غزة والشام [١] .

ويقول بعض المؤرخين: كانت بلبيس على الطريق الموصل من مصر إلى الشام.

ذلك أن الجيش الذى يريد الوصول إلى القاهرة لا بد أن يأخذ الطريق القديم، وهو الذى يبدأ من بلوزيوم حتى بلبيس ذلك أن هذا الطريق كان يسلكه الغزاة فى الأزمنة القديمة مثل قمبيز والإسكندر ، وكذلك عمرو بن العاص وأملزيك الصليبين.

والسبب فى سلوك هذا الطريق وترك طريق دمياط والقاهرة هو أن طريق بلوزيوم بلبيس ليس به عقبات ولو أنه صحراوى .

إن طريق دمياط القاهرة تسير فى طريق مائية دون شبكات وقنوات كما أن به سدود مقامه للصيد كان يجهلها الغزاة .

أضف إلى ذلك كانت مياه النيل تقل فى بعض الأحيان مما يعرقل الملاحة [٢] .

أهتم الخليفة الفاطمى العزيز بالله بالتجارة الداخلية ، وكانت هناك مراكز هامة مثل مدينة الفرما التى كانت تعتبر مدخل مصر من الشمال الشرقى ، وقد اشتهرت أيضاً بمصائد الأسماك .

وأصبحت بلبيس مركزاً لتجارة الغلال ، وكانت تخرج منها قوافل تحمل ما

---

(١) نقل بتصرف من كتاب النجوم الزاهرة (جزء ١٥/ص ١٣٢) .

(2) History of Egypt in the Middle Ages .

تاليف ستانلى لين بول .

تحتاجه بلاد الحجاز من حبوب ودقيق كما كانت المحلة الكبرى مركزا لتجارة النسيج والزيوت .

يقول الجبرتي المؤرخ :

« أرسل الفرنسيس إلى رئيس الشام ميرة على جمال العرب نحو ثمانمائة جمل وذهب فى صحبتها برطلمين ، وطائفة من العسكر فأوصلوها إلى بلبيس ورجعوا بعد يومين » .

وهذا ولا شك يدل على أن بلبيس كانت من المدن ذات الأهمية للمواصلات والحركة التجارية .

* * *

البريـــــد

كانت بلبيس من بين أهم مراكز البريد فى مصر ، وفى هذا يذكر القلقشندى المؤرخ فى كتابه « صبح الأعشى » ما يأتى :

كانت قلعة الجبل مقر إقامة السلطان ، وكانت المركز الرئيسى للبريد يخرج منها المكاتبات والأوامر السلطانية وترد إليها الأنباء .

وكانت طرق البريد الرئيسية هى :

١ - الطريق الأول يبدأ من قوص إلى أسوان والنوبة وعيذاب وسواكن ، وهذا فى جنوب مصر .

٢ - من قلعة الجبل إلى الإسكندرية .

ويشير القلقشندى إلى طريقين يمكن تشبيههما بالطريق الزراعى والطريق الصحراوى المعروفين فى أيامنا هذه إذ أن الطريق الصحراوى كان يمر بوردان ودمنهور بحذاء الجبل الغربى والآخر وسط العمران ، ويعرف بالطريق الوسطى ، ويمر بقليوب مخترقا وسط الدلتا إلى منوف والمحلة إلى الإسكندرية .

٣ - طريق بلبيس ويبدأ من قلعة الجبل إلى دمياط عن طريق سرياقوس وبلبيس، ثم دمياط ، ثم إلى غزة وغيرها من بلاد الشام [1] .

---

(١) منهج الأعشى للقلقشندى (جزء ١٤/ ص ٢٧٣) .

الطريق الذى سلكه اليهود عند هروبهم من مصر

فكر اليهود عند هربهم من مصر أى الطرق أسلم وأسهل لهم . لقد وجدوا أن الطريق السهل عليه حراسة من الجنود المصريين كما كان عليهم أن يبتعدوا عن طريق البحيرات لأنه صعب وطويل ، وقد يموتون جوعاً وعطشاً فوقفوا جامدين لا يدرون ماذا يعملون لكن الله أوحى إلى سيدنا موسى بأن يتخذ طريق البحر سبيلاً .

وفى هذا يقول القرآن الكريم :

﴿ ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادى فأضرب لهم طريقا فى البحر يبسا لا تخف دركا ولا تخشى فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم ﴾ (١) .

لكن ما هو الطريق الذى سلكه اليهود من المدن التى كانوا يسكنونها حتى البحر الذى شقه موسى بإذن الله يؤكد بعض المؤرخين أن رحلة اليهود بدأت من مدينة رعمسيس (قنطير) ، وهى فاقوس الآن وساروا فى هذا الطريق حتى وصلوا إلى سكوت ، ثم إلى إيتام إلى بلدة هامحيروت إلى مجدل ، ثم إلى بعل صفون ، ثم إلى شور - يحسن أن يقال مدينة كذا (وهى مكان كذا فى هذا العصر) .

واستند المؤرخون فى قولهم هذا إلى ما جاء فى بردية تقول : « إنهم بدأوا من قنطير ولم يبدأوا من تانيس (صوعن) لأنها أفضل محطة للهرب » .

كما تقول البردية أيضاً إن هناك طريق هو من بلوريوم (الفرما) ، ثم تانيس، ثم تل الرطابة (٢) .

على أن هناك بعض المؤرخين يعترضون على هذا الرأى ، فيقولون إن اليهود عندما أرادو الهروب وبدأوا رحلتهم تركوا منازلهم من جوشن واتجهوا إلى رمسيس ، ثم سكوت ، ثم ختم (المجدل) إلا أنهم وجدوا أمامهم هذا السور، وتلك الحصون المقامة على الحدود فغيروا رأيهم واتجهوا إلى طريق آخر ومما عاق طريقهم أيضاً تلك البحيرات الممتدة على طول الطريق (٣) .

---

(١) سورة طه آية : ٧٧ ، والآية : ٧٨ .

(٢) انظر : الرحلة فى سفر الخروج (٣٧/١٢) ، (٥/١٣) ، (٢/١٤ ، ٢٢) ، (٢٢/١٥) ، (٧/١٢) .

(٣) تاليف سايس monwment ، وسفر الخروج (٢/١٤) .

ويرى فريق ثالث أن اليهود أرادوا السير بحذاء البحيرات المرة حتى لا يضطروا إلى السير فى الصحراء لمدة ثلاثة أيام بدون ماء فقد يهلكون جوعاً وعطشاً كما أن الطريق ضيق لا يتناسب وعددهم هم ومواشيهم التى كانت معهم ، ولذا غيروا رأيهم .

وهذا الطريق هو الذى استخدمه الرومان بعد الميلاد عند غزوهم مصر .

* * *

المواصلات البحرية

نهر النيل وفروعه فى العصور القديمة .

كان لنهر النيل فروع كثيرة ، ولكن كان من بينها خمسة أفرع رئيسية وهى :

١ - الفرع البيلوزى : وكان صالحا للملاحة حتى عهد استيلاء العرب على مصر ، وكان هذا الفرع موضع بحبر مويس الموجود فى الزقازيق وكذا موضع مصرف بحر البقر .

٢ - الفرع التانيسى .

٣ - الفرع المنديسى مكان البحر الصغير الآن .

٤ - السبيثى .

٥ - الكانوبى .

تلك هى أهم فروع النيل الكبرى ، وإن كان هناك فروع أخرى صغيرة منتشرة فى أنحاء البلاد تقوم بمهمة الرى والملاحة ، وكانت هذه الفروع على شكل قنوات وترع فكانت كالشرايين تقوم بمهمة خاصة إلا أن بعض هذه الفروع الصغيرة ردمت بسبب الإهمال ، وعوامل التعرية ، ومكانها لم ينس لدى رجال العلم ، وظهر ذلك عندما أراد العلماء الاستفادة من هذه الترع القديمة فأمكنهم تجديدها بحفرها ، وإعادتها إلى ما كانت عليه قديماً ومثال ذلك ترعة الإسماعيلية وترعة وادى الطميلات وغيرها .

كانت هذه الترع تقوم بخدمات جليلة للرى والملاحة ، ومنها استخدم لربط البحر الأبيض والبحر الأحمر مثل ترعة وادى الطمبلات التى وصلت النيل بالبحر

الأحمر فأصبح الأحمر يتصل بالنيل بواسطتها ، ومنها إلى النيل ومن النيل إلى البحر الأبيض المتوسط .

وإذا كان الحال كذلك فإننا نجد الكثير من هذه الترع التى كانت قد وجدت فى العصور القديمة ، لم يزل آثارها باق ، وإن كان الكثير قد ردم لسبب عوامل كثيرة مثل هبوب الرمال ، وقلة الإصلاح ، وانخفاض مياه النيل أو كثرة الطمى والرواسب .

لكن هذه الترع والقنوات أمكن للرحالة والجغرافيين والجيولوجيين ورجال التاريخ معرفة أماكنهم ، وعمدوا على تبيانها وقاموا بإعادة حفرها للاستفادة منها بتوصيل الماء إليها لتعود كسابق عهدها ، فأصبحت طريق مواصلات مائى وللانتفاع بها فى زراعة المناطق التى تسير فيها هذه الترع ، ومثل هذه الترع ترعة وادى الطمبلات وترعة الإسماعيلية .

والحقيقة أن النيل أوجد لنا هذه الترع المنتشرة فى منطقة الدلتا فخفف علينا مشقة البحث عن ترع جديدة ، وتخطيط جديد ، وكان من نتائج ذلك أيضاً أن استعاد المصرى فى الزمن القديم من استخدام كثير من تلك الترع التى كانت موجودة من قبل فأعاد حفرها واستغلالها ، ومن هذه الترع ترعة وادى الطمبلات وترعة الإسماعيلية فالتاريخ يقص علينا أن هذه الترع كانت موجودة فى الزمن القديم ثم ردمت للأسباب التى تكلمنا عنها ، ثم أعيد حفرها ، وأصبحت من بين الطرق المائية الهامة ، وأحب أن أذكر أنه ليس للمسيو دلسيس فخر فى إنشاء ترعة الإسماعيلية إذا كانت موجودة أصلا ، ولم يقم بشىء يذكر إلا إعادة حفرها فقط بدليل أن تراجان حفر هذه القناة كما بينا ذلك فى موضع آخر من هذا الفصل .

وإثباتا لهذا الموضوع يقول بعض المؤرخين : « إنه عندما شق النيل مجراه وكون دلتاه كون أحد فروعه فى عصر ما قبل التاريخ وادى الطمبلات ، فقد كان هذا الفرع يتصرف إلى البحر الأحمر مارا بحوض البحيرات لكن حدثت عوامل جغرافية أدت إلى انقطاع جريان ماء النيل فى هذا الفرع النهرى » [(١)] .

---

(١) انظر : كتاب السويس (٤٠) .

ومعنى ذلك أنه كان يوجد ترعا ثم ردمت ، ولكن المصريين عمدوا إعادة حفر هذه الترع .

١ - وكانت ترعة وادى الطمبلات من بين هذه الترع ، والمعروف أن ترعة وادى الطمبلات كانت تبدأ من الفرع البيلوزى بالقرب من منطقة بين فاقوس وبلبيس .

٢ - كانت ترعة أبو طفلة شمال غرب بحيرة التمساح وتبدأ من أطراف بحيرة المنزلة حتى الصالحية .

٣ - فرع من دفنه يتجه نحو الشرق ، وينبع من الفرع البيلوزى ويسير نحو الجنوب الشرقى إلى بحيرة المنزلة ثم إلى الجنوب يصب فى بحيرة التمساح ثم يلتقى بالترعة الحلوة ترعة الإسماعيلية .

* * *

بحيرة المنزلة

لم تكن لبحيرة المنزلة وجود حتى القرن السادس الميلادى إذ كانت أرضا زراعية ينمو فيها أنواع مختلفة من الزراعات ، وكان يسكنها عدد كبير من الناس، واستمر الحال على ذلك حتى حدث زلزال فى القرن السادس فحدث انخفاض فى تلك المنطقة فتكونت بحيرة المنزلة ، وأخذت مياه البحر المتوسط تطفو هذه المنطقة فغرقت معظم مدن المنطقة ما عدا مدينة تانيس وظهرت وبقيت إلى الآن [١] .

* * *

اليـــم

اليم فى اللغة العربية : البحر أو النهر وهو كذلك فى اللغة المصرية القديمة إذ اليم لفظة سامية عرفت فى المصرية منذ الأسرة الثامنة عشرة حول القرن السادس عشر قبل ميلاد المسيح ، وكان المصريون يطلقون على البحر والنهر وما اتسع لج الماء لفظ اليم ، ومنه جاء اسم منخفض الفيوم [٢] بعد إضافة فاء التعريف فى المصرية إليه .

---

(١) على ضفاف بحيرات مصر - بحيرة المنزلة ، وبحيرة البرنس بقلم اللواء عبد المنصف محمود (٩) .

(٢) الفيوم : أصل الكلمة يم بمعنى بحر أو منخفض من الماء وهو باللغة المصرية القديمة=

وقد جاء لفظ اليم ثمان مرات فى القرآن الكريم ذكر منها ثلاث بمفهوم النهر النيل وأطلق على البحر الذى غرق فيه فرعون خمس مرات ، وبذلك يشير القرآن إلى موضوع معلوم كما يدعوه أهله باسمه المعلوم [(١)] .

واليم فى اللغة العبرية : يطلق أيضاً على النهر ، وعلى البحر فتكون لفظة اليم فى اللغات السامية تأتى فى بعض الأحيان بمعنى النهر ، وفى بعض الأحيان الأخرى بمعنى البحر .

* * *

البحر الأحمر

أطلق اليهود على البحر الأحمر كلمة « يم سوف » بدلاً من كلمة يم Red = البحر الأحمر . إذا فلما أطلق عليه اليهود « يم سوف » أو بحر الغاب أو بحر البوص :

كانت هناك بحيرات كثيرة تمتد من البحر الأحمر على طول الطريق إلى بحيرة المنزلة ، والتى منها الآن البحيرات المرة وبحيرة التمساح - والتى كانت على طول قناة السويس ، وكانت هذه البحيرات الكثيرة ، والتى اندثرت ولم يبق منها للآن إلا البحيرات المرة وبحيرة التمساح - كانت هذه البحيرات مملوءة بالبوص والغابات ، والتى لم تكن الحكومات تعنى بتطهيرها وإزالة هذه الحشائش والغابات منها .

وهذا الغاب والبوص أطلق عليه المصريون القدماء tsufi ثم أخذ اليهود هذه الكلمة وحرفوها ونطقوها باسم suf وأطلق على هذه البحيرات وعلى البحر الأحمر يم سوف أى بحر الغاب والبوص فالمعنى هنا تاريخى وليس حقيقى فالبحر الأحمر اسمه الصحيح Red Sea وليس يم Suf « سوف » لأن البحر الأحمر ليس به بوص أو غاب .

= وإذا اضفنا حرف الفاء فيكون فيم يم فيوم واضف الـ سم للفيوم وأما الفاء فهو يقال على حرف التعريف « ال » فيكون فيوم Fiom = الـ + يوم = وينطق فيوم = الـ ثم أضاف العرب وتصبح الفيوم .

(١) كتاب مصر فى القرآن والسنة ، (ص ٨٧) تأليف د . أحمد عبد الحميد يوسف .

ولما اختفت معظم البحيرات ولم يبق غير بحيرتى التمساح والمرة بقى الاسم يطلق على البحر الأحمر ، وأطلقت عليه التوراة اسم يم سوف أى بحر الغاب والبوص .

لماذا كان الغاب والبوص يكثر فى هذه البحيرات :

قلنا إن الطريق الممتد من البحر الأحمر حتى بحيرة المنزلة ثم العريش والذى هو مكان قناة السويس الآن كان كله عبارة عن بحيرات كثيرة ، وإن كان أكثرها قد اختفى الآن ، ولم يبق منها إلا بحيرة التمساح والبحيرات المرة .

كانت هذه البحيرات مملوءة بالغاب والبوص لأسباب عدة :

١ - كان الغاب متروكاً ينمو بغزارة لأنه يعوق المعتدين على مصر حيث أن هذه البحيرات كانت حواجز طبيعية ، وكان وجود الغاب بها يؤدى إلى تعطيل المهاجمين على مصر بعض الوقت .

٢ - كان الغاب والبوص يستعملان لعمل ورق البردى فكان المصريون يحتفظون بكمية كبيرة منه لاستعماله وقت الحاجة .

٣ - استفاد المؤرخ من وجود هذا الغاب والبوص فى هذه - الجهات - أن خروج اليهود كان من هذه المنطقة ، وليس من البحر الأحمر نفسه لأن التوراة استعملت كلمة يم سوف فى مشكلة الخروج تدل على أنهم عبروا إحدى هذه البحيرات ، ولم يأخذوا طريق البحر الأحمر نفسه .

* * *

قناة السويس

قلنا إن النيل كان له أفرع متعددة ، وكان من أهمها الفرع البيلوزى والفرع التانيسى ، وكان هذان الفرعان يستخدمان فى الملاحة والمواصلات من البحر الأبيض إلى داخل البلاد والعكس .

كما أن البحر الأحمر كان طريق مواصلات وملاحة من الهند واليمن إلى المدن التى كانت مكان السويس الآن .

ولكن لم تكن هناك صلة بين البحر الأحمر والأبيض ، فإذا جاءت سلعة من البحر الأبيض ، وأراد المصريون تصديرها إلى مدن آسيا فكانت تجد صعوبة ، فكانت السلع تفرغ عند أى مدينة على النيل ، ثم تنقل على ظهور الحيوانات إلى البحر الأحمر ، ولكن هذه العملية كانت شاقة فهى تستوعب وقتاً طويلاً ، ومبالغ طائلة وظلوا على ذلك حتى هدى العقل المصرى إلى أن يصلوا النيل بالبحر الأحمر عن شق قناة تبدأ من أحد فرعى النيل ، وتسير شرقاً حتى تصل البحر الأحمر ، ويكون هذا الطريق المائى أفضل من الطريق البرى فهو أقل تكلفة، وأسرع وقتاً ، وحينئذ اختار المهندس المصرى الطريق الأصلح فوجد أن أحد أفرع النيل موجود إلا أنه قد ردم هذا الطريق المائى هو ترعة واد الطميلات فحفرها المصريون ، ثم اختاروا أحد فرعى النيل فاختاروا الفرع التانيسى ، وأقاموا من عند تل بسطة قناة تصل بين الفرع التانيسى وقناة وادى الطميلات ، فكانت السفن الآتية من البحر الأبيض تسير فى النيل - فرع تانيسى حتى تصل بوباستة فتتجه فى القناة وتسير فيها حتى تلتقى بقنا وادى الطميلات ، وتسير فيها حتى تصل البحر الأحمر أو البحيرات المرة ، وبقى الحال على ذلك زمنا طويلاً إلى أن جاء أحد الفراعنة فأنشأ قناة على الفرع البيلوزى بدلاً من تلك القناة التى كانت تخرج من الفرع التانيسى ، وكانت هذه القناة تخرج من مدينة فاقوسة .

وبقى الحال على ذلك زمناً طويلاً إلى أن جاء الحاكم الرومانى تراجان ، وأقام ترعة تبدأ من هليوليس وتسير شمالاً حتى تلتقى بالقناة عند بلبيس .

ولقد كانت هذه الترعة من الأهمية بمكان إذ ظلت صالحة للملاحة ، ثم ردمت ثم حفرت من جديد إلى أن حفرت مرة أخرى أيام حكم الخديوى عباس ، وأطلق عليها اسم الترعة الإسماعيلية أو الترعة الحلوة أما القناة التى تصل البحر الأحمر ، وأحد فرعى النيل فكان يطرأ عليها الكثير من التغيير وسنفصل ذلك فيما يأتى .

قناة السويس وما طرأ عليها من التغيير :

١ - إن أول عهد بتوصل النيل بالبحر الأحمر كان فى عصر سنوسرت الثالث

(ريستريس) أيام الأسرة الثانية عشر إذ شق قناة فى شرق الدلتا ، وتعد هذه القناة أقدم طريق مائى يصل بين النيل والبحر الأحمر [1] .

٢ - عندما اعتلى رمسيس الثانى الحكم نقل عاصمة بلاده إلى منطقة جوشن (شرق الدلتا) ووجه عنايته إلى قناة وادى الطميلات باعتبارها طريقاً هاماً بين القطر المصرى وآسيا كما أسس فى هذا الطريق مدينة بيتوم وجعلها مخزنا للأسلحة كما شيد هو والملك سيتى مدينة أخرى هى تل اليهودية .

٣ - إلا أن هذه القناة سرعان ما ردمت بسبب الرمال وقلة اعتناء الحكام الذين أتوا بعد رمسيس الثانى إلى أن جاء الملك نخاو فى الأسرة الخامسة والعشرين ، فقام بإعادة حفر القناة وسير فيها أسطولا مكوناً من خمسين سفينة قامت من طيبة مخترقة النيل حتى وصلت قناة وادى الطمبلات فعبرته ، وسارت فى البحر الأحمر إلى بلاد بونت ثم رجعت قافلة محملة بالخيرات . ولو أن هناك خلاف حول حفر نخاو للقناة .

٤ - ولما استولى داراً ملك الفرس على مصر وضع مشروعاً للسيطرة على البحار يتلخص فى حفر أو إعادة حفر القناة القديمة التى تصل النيل بالبحر الأحمر عن طريق الفرع البيلوزى بالقرب من الزقازيق مخترقة وادى الطمبلات عند السويس ، وقام بحفرها وقد ترك شواهد وأحجار تدل على هذا الحدث العظيم.

٥ - فى عهد بطليموس الثانى أمر بحفر القناة من جديد ، وذلك تخليداً لوالدته وزوجته ، وقد أدخل على القناة بعض الإصلاحات فاستعمل الهويس ، وبقى على ذلك حتى ردمت وكانت تبدأ من فاقوسة على الفرع البيلوزى ، وهذه القناة هى التى حفرها من قبل نخاو ثم دارا الأول .

٦ - ولما استولى الأمبراطور أغسطس على مصر طهر القناة وعنى بالتجارة فنشطت الحركة .

---

(١) انظر : مجلة الإبراهيمية (٤٠٧) نقلاً عن :
Hsitony of Eavypt Pago . 27 c .
وكتاب مصر القديمة تاليف سليم حسن (جزء ٢/ ص ١٧٩) ، وكتاب الحضارة الفرعونية/ جمال مختار (١٠٠٠) .

٧ - قناة تراجان : أمر الأمبراطور الرومانى تراجان سنة (٩٨ - ١١٧م) بحفر قناة تربط بين النيل بالبحر الأحمر ، وكانت هذه القناة تخالف تلك القناة السابقة إذ كانت تخرج من النيل عند بابليون (مصر القديمة) الآن وتسير حتى هليوبوليس وتواصل سيرها حتى مدينة بلبيس ، وهناك تلتقى بالقناة التى حفرها بطليموس الثانى فى نقطة قبل التقائها بقناة وادى الطمبلات ، ولكن هذه القناة ردمت بعد ذلك وظلت مردومة حتى الفتح الإسلامى إذ قام عمرو بن العاص بحفرها ، وكانت هذه القناة هى قناة تراجان السابقة ، والتى هى الآن ترعة الإسماعيلية والتى تبدأ من عين شمس (هليوبوليس) وتسير مارة ببلبيس وتسير حتى الإسماعيلية .

لكن هذه القناة ردمت بفعل الرمال وبالأهواء السياسية إذ أمر بعض الخلفاء العباسيين بردمها لدواع سياسية .

وبعد ذلك قام دلسبس بإعادة حفر ترعة السويس ، وهى الترعة القديمة والحقيقة إن ما يدعيه المهندس دلسبس ليس صحيحاً ، وأن ما قام به هو إعادة حفر القناة فقط [١] .

ونقول إن هذه القناة كانت تبدأ عند منطقة صفط الحنة لكن تراجان جعل القناة الجديدة تتقابل مع القناة القديمة عند بلبيس ثم تسير القناة إلى وادى الطمبلات .

* * *

خليج أمير المؤمنين

قلنا إن تراجان الحاكم الرومانى قام بحفر خليج يأخذ مياهه من النيل قرب بابليون (فم الخليج الآن) بمصر القديمة ، وهذا الخليج يصل بين بابليون والبحر الأحمر ، وكان يسمى قناة تراجان إلا أن هذه الترعة كانت كثيراً معرضة للردم بسبب الإهمال وكان يعاد حفرها .

ولما فتح العرب مصر قام العرب بحفر هذه القناة لكى ينقل القمح من مصر إلى المدينة المنورة .

ويقول الكندى المؤرخ عن هذه القناة .

---

(١) تاريخ مصر الاجتماعى والاقتصادى (ص ١١٤) تأليف أحمد صادق سعد .

إنه فى (٢٣ هـ - ٦٤٣) كانت القناة تبدأ من بابليون وتسير حتى تمر بمدينة بليس وتسير حتى قناة التمساح ، ثم إلى القلزوم على البحر الأحمر ، وبقيت صالحة للملاحة مدة ثمانين عاماً ، ثم أهملت إلى أن فتحها الخليفة المهدى سنة (١٧٨ هـ) ، ثم ردمت ثم جدد حفرها ديلسبس وكانت تسمى ترعة الحلوة[1] .

* * *

الخليج المصرى

الخليج المصرى شارع من أهم شوارع القاهرة يشغلها من الشمال إلى الجنوب مخترقا أحياء لها بتاريخ مصر القديمة صلة وثيقة ، وقبل أن نتحدث عن التطور العمرانى الذى شاهده هذا الخليج منذ نشأته ، وعن تفسير مسميات الأحياء التى تتصل به والحارات التى تنتهى إليه وبعضها يحمل أسماء قديمة يحار فى تعليل اختيارها من لم يتهيأ له الاطلاع على كتب تخطيط القاهرة - قبل أن نطرق شيئاً من هذا سنستعرض تاريخ الخليج المصرى على اعتبار أنه إحدى الحلقات التى وصلت النيل قديماً بالبحر الأحمر ذلك الطريق المائى الذى كانت تصدق النية فى إبقائه فتتناوله يد الحفر ، والتعمير ثم تصدف عنه الرغبة فى تجديده فتطغى عليه رمال الصحراء بالردم والتدمير . وكانت الرغبة فى ربط البحر الأحمر بالنيل تزيد أيام الفراعنة كلما اتسعت تجارتهم الخارجية وامتدت بخاصة إلى جنوب البحر الأحمر حيث توجد بلاد بنت (الصومال) الغنية بالأخشاب والبخور والروائح العطرية والأدهنة الجميلة الكثيرة الاستعمال عند الشرقيين وجعل بعض الأثريين مبدأ تجارة مصر مع الصومال فى عهد الأسرة الأولى لكثرة استعمال ملوك هذه الأسرة لخشب المرو ، لكن المرجح أن هذه الأخشاب العطرية أتت عن طريق شاطئ النيل الأزرق والعطبرة ، وأعالى النيل ، ومن الثابت أن ساحورع من الأسرة الرابعة هو أول من أسس المواصلات البحرية مع الصومال عن طريق موانى البحر الأحمر .

وفى أيام الأسرة السادسة قام حكام جزيرة الفيل بتوسيع العلاقات التجارية مع بلاد بنت والأقاليم الجنوبية للبحر الأحمر . والثابت الذى لا يتطرق إليه شك أنه

---

(1) Stanly Lane Pole .

لم يكن هناك طريق مائى يربط البحر الأحمر بالنيل إلى ذلك التاريخ بل كانت السفن تبنى بميناء على البحر الأحمر قريبة من النيل كالقصير أو لوكس Leucos Limen ومنها تمخر عباب البحر إلى حيث تريد .

ولم نعثر على شيء نستدل منه على تاريخ مضبوط لاتصال النيل بالبحر الأحمر ، فقد ذكر المقريزى حكاية طويلة عندما وفد أبونا إبراهيم الخليل إلى مصر، وهى أن فرعون الجالس على عرش مصر افتتن بزوجته سارة ، وأن الله قد نجاها من سوء مكروه بما كان يصيبه كلما هم بتنفيذ قصده فرجع عن ذلك ، ولما أراد إبراهيم الرحيل أهدى إليه جارية ثم أراد فرعون إكرامه فحفر ترعة توصل النيل بالبحر الأحمر تسهيلاً للمواصلات مع مكة المكرمة التى كانت تقيم بها هاجر أم إسماعيل . ونجد المرحوم أحمد شفيق باشا فى محاضرة له مطبوعة عن قناة السويس يذكر هذه الرواية بل يعين اسم فرعون ، وإن نرسيس ونحن لا ندرى من هو نرسيس هذا ، ولكنا نذكره على سبيل إثبات كل ما قيل فى هذا الموضوع غير أنه من المحقق أن هذا الاتصال كان قائماً أيام سيزوتريس الثالث Seoostris III فكان ذلك أقدم اتصال بين البحر الأبيض والبحر الأحمر ، ويذكر بعض من كتبوا فى هذا الموضوع أنه هو الذى قام بذلك على أنى أورد هنا ما ذكر برستد [(١)] ،

This Suez regin & bikewise the guef of Sues were already Connected with the Eastern Arme of the Nile .

أى إن إقليم السويس وكذلك خليج السويس كانا متصلين بالفرع الشرقى للنيل. فليس فى هذه العبارة التى أوردها برستد ما يدل دلالة قاطعة على أن فرعون هذا هو الذى قام به على وجه التحقيق فى الوقت الذى أبان عن أعماله فى النواحى الأخرى بطريقة لا تدعو إلى الشك والحيرة فكانت هذه القناة تخرج من فرع النيل الشرقى ، وهو الفرع البيلوزى (بحر مويس الآن) فى نقطة بجوار بوبسطة (الزقازيق الحالية) وتسير فى وادى الطمبلات من الغرب إلى الشرق ثم تنثنى فجأة نحو الجنوب فتخترق البحيرات المرة ، وتصب فى بحر القلزم عند مدينة أرسينويه بالقرب من موقع السويس الحالية ، وكانت تسع مركبين متقابلين .

(1) A History of Egypt P , 127 . (Breasted ,) .

ويظهر أن العلاقات التجارية الخارجية قد فترت بعد ذلك الحين لما أصاب مصر من التأخر أيام الهكسوس وبقيت كذلك حتى أحيتها الملكة حتشبسوت فى الأسرة التاسعة عشرة فعندما تولت الملك وقفت يوماً أمام ناووس المعبود آمون فسمعته يقول : « يجب إعادة فتح طريق الصومال ليتيسر الوصول من هذه الشرفات (شرفات الدير البحرى) إلى بلاد بنت فهذه البلاد المقدسة جميلة وأنا أحبها وما خلقت تلك البلاد إلا لأسرى بها عن نفسى » فقالت الملكة : « وهكذا أنجزت كل ما رغب فيه المعبود نزولاً على مشيئته » ، وأرسلت خمسين سفينة قامت من طيبة متبعة نهر النيل حتى شرقى الدلتا ، وهناك عبرت قناة وادى الطميلات إلى البحر الأحمر وعادت محملة بخيرات بلاد بنت (١) .

وفى القرن الثالث عشر قبل الميلاد أى أيام الأسرة التاسعة عشر وجه سيتى الأول عنايته إن هذه القناة ونجد تسجيل هذا العمل العظيم فى نقوش بارزة على الجدار الخارجى الشمالى لمعبد الكرنك بالأقصر ، وهى تمثل سيتى الأول عائداً منتصراً من فتوحه فى سوريا فيجتمع الكهنة وأشرف البلاد يستقبلونه بطاقات الورد والزهور مهنئين على ضفة هذه الترعة .

ولما خلفه رمسيس الثانى واتسعت أملاكه فى آسيا ونقل عاصمة ملكه إلى الوجه البحرى وجه رمسيس كثيراً من عنايته إلى قناة وادى الطميلات باعتبارها طريقاً هاماً بين القطر المصرى وآسيا فشيد فى منتصفه مدينة بيثوم Pithum وجعلها مخزنا للحبوب كما شيد هو وسيتى مدينة أخرى فى نهايته الغربية تقع شمال هليوبوليس وتعرف الآن بتل اليهودية (٢) .

وتطلبت المحافظة على قناة وادى الطميلات عدداً من العمال لتعميقها والمحافظة على جسورها ، وكان ذلك ميسوراً أيام أن كانت الدولة قوية فى عهد الأمبراطورية المصرية ، وبعد ذلك قلت العناية بها فلم يأت حكم رمسيس الثالث فى الأسرة العشرين حتى طغت يد الإهمال على القناة فلم يبق لها من أثر ، ولذلك اضطر هذا الملك إلى تسير سفنه إلى بلاد الصومال من الثغور الواقعة على البحر الأحمر ، ونقل مشحوناتها عبر الصحراء إلى وادى النيل على ظهور

---

(1) A History of Egypt . P 274 .

(2) Breasted . 442 .

الدواب إلى قفط ثم شحنت هناك فى سفن نيلية إلى مقر رمسيس الثالث فى شرق الدلتا .

وفى أوائل القرن السابع قبل الميلاد اعتزم نيخاو بن بسماتيك الأول تجديد حفر هذ الترعة ، وبعد أن هلك فيها نحو (١٢٠,٠٠٠) عاملاً توقف عن العمل ، وقد ذكر هيرودتس أن هذا كان نتيجة كارثة لم يصل إلينا شيء عنها ويظن أن المهندسين أخطئوا الحساب فطغى الماء على ما حفر فأزهقت هذه الأرواح البريئة(١) ، ويقال أن فرعون قد توقف لما أوحت به الآلهة إليه أن ذلك يسهل على الفنيقيين فتح البلاد كما روى ديودور الصقلى أن المهندسين نصحوا بعدم حفر تلك القناة خوفاً من غرق مصر لعلو سطح البحر الأحمر عن سطح الدلتا أى أنهم سبقوا مهندسى الحملة الفرنسية فى الخطأ الذى وقعوا فيه .

ولما فتح الفرس مصر وتولى داراً الأول زار مصر وجدد حفر هذه الترعة وأقام عليها كثيراً من الشواخص الحجرية تخليداً لذكرى هذا العمل المجيد ، وقد جاء على أحدها « أنا فارسى وبمعونة الفرس امتلكت مصر وأنى أمرت بحفر هذه القناة من النيل إلى البحر الأحمر الموصل إلى الفرس ، وقد تم هذا ممراً مائياً بإرادتى ومشيئتى » .

ثم أتى بطليموس الثانى سنة (٢٧٧ ق م) فجدد حفر هذا الخليج كما بنى «هويسا » عند مدينة أرسينويه (السويس) يسمح بدخول السفن من البحر الأحمر إلى الترعة وخروجه منها سهلا . وفى القرن الثانى للميلاد نسفت الريح الرمال إلى هذه الترعة فاضطر الامبراطور تراجان (٩٨ - ١٧٧م) إلى إنفاق الأموال الطائلة فى حفر قناة جديدة للملاحة كان مأخذها فى جنوب الأولى قليلاً وتمتد من فرع النيل الآتى من مكان بالقرب من القاهرة إلى بلبيس .

الخليج فى العهد الإسلامى :

عندما فتح العرب مصر استقدم الخليفة عمر بن الخطاب عمرو بن العاص ومعه جماعة من أهل مصر فلما قدموا عليه قال : « يا عمرو إن الله قد فتح على المسلمين مصر ، وهى كثيرة الخيرات والطعام ، وقد ألقى فى روعى لما أحببت من

(1) The Story of Ancient Egypte . D . A . Mochenzy . P . 70 .

الرفق بأهل الحرمين والتوسعة عليهم أن أحفر خليجاً من نيلها حتى يسيل فى البحر فهو أسهل ما تريد من حمل الطعام إلى المدينة ومكة فإن حملها على الظهر يبعد ولا نبلغ به ما نريد فانطلق أنت وأصحابك فى ذلك حتى يعتدل فيه رأيكم » .

غير أن وفد مصر لم يرتح لهذا المشروع وطلب من عمرو تصعيب هذه الفكرة لما توهم من ضرر على مصر فى تنفيذها إلا أن الخليفة أصر على رأيه فلم يأت الحول حتى جرت فيه السفن تحمل الخيرات إلى مكة والمدينة .

وظل هذا الطريق مسلوكاً حتى خلافة عمر بن عبد العزيز ثم ضيعه الولاة بعد ذلك حينما أمر أبو جعفر المنصور بردمه منعاً لإمداد العلويين الذين ثاروا عليه بالمدينة فأهمل وطغت عليه رمال الصحراء ، وانقطع من ذلك الحين اتصاله ببحر القلزم ، وبعد ذلك حفرت ترعة الإسماعيلية سالكة طريق الخليج القديم .

الخليج فى مدينة القاهرة :

هذه هى الصورة العامة مختصرة للخليج خارج مدينة القاهرة أما قصته داخل المدينة فكان يبدأ من النيل بالقرب من شمال مصر القديمة وجنوبى قصر العينى عند السواقى السبع التى كانت توصل المياه من النيل للقلعة ، وهى الآن خلف مركز شرطة فى فم الخليج ، وكان الخليج يسير نحو الشمال الشرقى ، وقبل أن يصل إلى وزارة المالية ينعطف نحو الشرقى الجنوبى حتى السيدة زينب فيعود إلى سيره نحو الشمال الشرقى ماراً بجانب بركة الفيل ، ثم سراى درب الجماميز (مخازن وزارة المعارف الحالية) فتكية الحبانية ، ثم يقطع شارع محمد على ماراً بجانب قصر منصور باشا بميدان باب الخلق إلى أن يقطع السكة الجديدة قرب اتصالها بشارع الموسكى فيمر تاركاً كنيسة اللاتين وكنيسة السوريان إلى يساره وكنيسة الأقباط إلى يمينه حتى يتصل بسكة مرجوش فيتركها إلى يمينه ، ثم يخترق سور القاهرة عند باب الشعرية ويسير خارج القاهرة إلى شارع الظاهر فيمر تاركاً جامع الظاهر إلى يمينه حتى يلتقى بترعة الإسماعيلية عند مصرف الشبينى القديم .

* * *

الباب السابع
موقع بلبيس الحربى

موقع بلبيس الحربى
حدود مصر الشرقية

كثيراً ما كانت الحروب تقوم بين مصر وجيرانها فى فترات عديدة غير أن معظم هذه الحروب كانت تقع فى شرق الدلتا [1] لأن معظم المغيرين كانوا من جهة آسيا ، وكانت منطقة جوشن هى التى تتحمل العبء الأكبر من ويلات هذه الحروب .

ولكى تحمى مصر نفسها من هذه الجهة الشرقية عمدت إلى إيجاد حاجز يحمى هذه المنطقة من غارات الأعداء فرأت أن يكون الحاجز ممتداً من البحر الأحمر (عند منطقة السويس) الآن على طول الطريق الموصل إلى الفرما (العريش) .

ولما كان هذا الطريق (مكان قناة السويس الآن) يحتوى على كثير من البحيرات ، والتى كانت تقوم بمثابة حاجز مائى يحمى مصر من المغيرين ويعوق تقدمهم لذا لم يبق إلا بناء حصون وأسوار فى الأماكن التى ليس بها بحيرات حتى يكون الحاجز مفيداً براً وبحراً ، ومن هنا عمد المصريون إلى بناء أسوار وحصون على طول هذا الطريق الممتد من البحر الأحمر إلى العريش ، وبذلك أصبح الطريق مكون من بحيرات وأسوار وحصون .

وكانت هذه الحصون والأسوار يقوم على حراستها جنود مصريون ويقومون بالتفتيش والمراقبة لكل من يدخل إلى مصر والخارج منها .

كانت هذه الحصون والأسوار مسبباً فى منع اليهود من الخروج من مصر والهرب لولا أن الله أنقذهم فأوحى إلى سيدنا موسى بأن يتخذ طريق البحر .

ولم يكتف المصريون بهذه الحصون والأسوار والبحيرات بل كانوا يقيمون المدن الحربية بجانب هذا السور المنيع لتكون مخازن للأسلحة الحربية ، ولتكون مساكن

---

(١) كان الأعداء يفضلون طريق العريش البرى بدلاً من الطرق المائية .

للجيش المصرى ونحن نرى كيف أقام المصريون مدناً عدة لهذا الغرض ، ومن هذه المدن مدينتى بيتوم ورعمسيس وكذلك الرطابة وغيرها من المدن .

* * *

بلبيس وموقعها الحربى

لقد أصاب مدينة بلبيس الكثيرة من ويلات الحروب إذ كانت محط أنظار الغزاة والفاتحين ، وذلك لما كان لها من موقع استراتيجى ولقربها من عاصمة مصر فكان من يستولى على مدينة بلبيس ، فإنه فى الغالب يسهل عليه الوصول إلى منتصف العاصمة القديمة أو عين شمس أو إلى القاهرة .

كانت مدينة بلبيس تتلقى الضربات تلو الضربات نتيجة الغزوات الأجنبية فإذا بها يموت الكثيرون من أهلها ، ويهلك الزرع والضرع حتى ليقال إن أى مدينة مصرية لم تصب بسوء أكثر مما أصاب بلبيس وكل هذا السبب بسبب موقعها الحربى وموقعها على الطريق الرئيسى الموصل بين الشام وفلسطين من ناحية وبين العاصمة المصرية من جهة أخرى .

* * *

بلبيس الخط الثانى

كان الرومان يعتبرون منطقة بلبيس الخط الثانى فى المواقع الحربية ويقول الأستاذ ستانلى بول [(١)] :

« جعل الرومان ببلبيس الخط الثانى لمقاومة الرومان لجيش المسلمين بقيادة عمرو ابن العاص ، وكانت المسافة من بلبيس ومصر (عين شمس) حوالى ثلاثين ميلاً .

* * *

فتح العرب لمصر

وعند فتح العرب لمصر على يد عمرو بن العاص كانت مدينة بلبيس أول المدن التى قاومت الفتح ، ولكن بعد وقت قصير تمكن عمرو بن العاص من الاستيلاء عليها .

---

(١) تاريخ مصر الحديث لجورجى زيدان (ص ٨٢٥) .

عمرو بن العاص فى بلبيس

كانت بلبيس من أوائل المدن المصرية التى فتحها العرب المسلمون وأصبحت تابعة لهم بعد أن كانت تحت الحكم الرومانى .

جاء فى كتب التاريخ عن فتح المسلمين لمدينة بلبيس : كان أول موضع قوتل فيه الفرما (بجوار العريش) وقاتلت الروم قتالاً شديد نحواً من شهر ثم فتح الله على المسلمين . . . ، ثم تقدم عمرو حتى أتى بلبيس فقاتلوه فيها نحواً من شهر حتى فتح الله عليه ، وكان فى بلبيس أرمانوسة بنت المقوقس حاكم مصر من قبل الروم ، وكان من أدب المسلمين أن سير عمرو بن العاص ابنة المقوقس إلى أبيها معززة مكرمة (١) .

أيام الفاطميين :

استمرت بلبيس تعانى من ويلات الحروب المتكررة فبعد فتح المسلمين لها وما أصابها من الرومان قامت حرب أخرى بين كل من شاور وضرغام وزير الخليفة الفاطمى ذلك أن كلا منهما كان يريد السلطة وتوالت الحرب بينهما .

ومما طال فى أمد هذه الحرب استنجاد كل منهما بدولة أجنبية فكان شاور يستنجد مرة بجيش نور الدين زنكى ومرة بغيره من الأوربيين وكذلك فعل خصمه ضرغام ، وكانت مدينة بلبيس بين المطرقة والسندان فأصابها من الجوع والخوف ما لا يخفى على الناس لقد أتت الحرب على الزرع والضرع ولاقى أهالى بلبيس الأمرين وبقيت بلبيس تحت ويلات الحرب حتى انتصر صلاح الدين على الأعداء وزالت الغمة وهدأت أحوال أهالى بلبيس .

ويصف أحد المؤرخين تلك المناظر المروعة التى أصابت أهل بلبيس فيقول : «إن الصليبين خرجوا وسلاحهم فى أيديهم وأخذوا يقتلون كل من وجدوه من الرجال والنساء والشيوخ والشبان ، ثم اقتحموا البيوت فأجهزوا على من احتمى فيها وسلبهم كل ما بها من متاع وأثاث (٢) .

وقد أخطأ الصليبيون بمعاملتهم السيئة لأهل بلبيس مما أغضب المصريين جميعاً

---

(١) انظر : كتاب أرمانوسة تأليف جورجى زيدان (ص ١٩١) .

(٢) وليم الصورى (ص ٣٥٠) .

مما ساعد شيركوه عند مجيئه مرة ثانية إلى مصر والوقوف ضد شاور وعائلته - كل ذلك ساعد شيركوه فى مهمته الحربية فدخل مصر ورحب به المصريون وانتصر شيركوه على الصليبيين فى القاهرة .

أيام الدولة الأيوبية :

لم تقف الحرب الأهلية بعد انتهاء الدولة الفاطمية بل تجددت أيضاً أيام الدولة الأيوبية إذ قامت الحرب بين الملك العادل والملك الصالح أيوب .

يقول جورجى زيدان :

سار الملك العادل بجيوشه إلى بلبيس ليوقف سير أخيه (الملك الصالح أيوب) إذا حاول المجئ إلى مصر فلما وصل بلبيس ثار عليه الجند وولوا أخاه الملك الصالح أيوب وبايعوه على الحكم ودخل القاهرة سنة (٦٣٧ هـ) [(١)] .

أيام التتار :

عندما أراد التتار غزو الشام ومصر هبت مصر كلها تدافع عن بلدهم ، وقام قطز بجمع الجيوش المصرية للقاء التتار العدو الأكبر - قام قطز القائد المصرى سنة (٦٥٨) بجمع العساكر من جميع الطبقات ، فقد نودى على المنابر للحض على ملاقاة التتار وللجهاد فى سبيل الله ، وتوافد المسلمين من أسوان إلى الإسكندرية إلى بلبيس ، ومن بلبيس توجهوا إلى الصالحية ، ثم إلى الشام حيث قابلوا جيش التتار ، وانتصر المصريون على التتار فى موقعة عين جالوت وحفظ الله مصر من شر التتار [(٢)] .

أيام المماليك فى عهد قايتباى :

كان نزاع بين قايتباى حاكم مصر ، ومن أحد قواده الذى هرب إلى بلبيس وأرسل قايتباى لقبض على هذا القائد الذى وقف ضده وتفصيل الحادثة هو أن تمريقا كان ضد السلطان قايتباى ، فقام الأمير أرغون شاه وقبض على تمريقاً فسر السلطان بذلك وفرح فرحاً شديداً وأرسل إليه الأمير يشبك ليقابله فى بلبيس ، ويحتفل بمقدمه ويرسله إلى الإسكندرية ليقيم بها .

---

(١) جورجى زيدان (ص ٣٢١) .

(٢) مصر ملاذ العالم الإسلامى - الظاهر بيبرس - د. على محمد حموده (ص ٣٧) .

كذلك قام السلطان قايتباى برحلة يتفقد فيها أحوال البلاد فمر على بلبيس فخرج الأهالى يستقبلونه بالترحاب الإجلال .

الدول العثمانية :

بدأ الغزو التركى لمصر أيام حكم طومان باى سلطان مصر ، وأخذ كل من الجيشين يتأهب للحرب ، واتخذ الجيش التركى طريقه عن طرق الصالحية ثم بلبيس ثم القاهرة ، وقبل أن يصل إلى بلبيس أشيع أن العثمانيين أصدروا منشوراً أن مدينة بلبيس ستكون فى أمان وسلام ولن يصيبها أذى ، ولكن تحقق للسلطان طومان باى أن العثمانيين وصلوا إلى بلبيس فأمر بحرق كل ما فيها من مؤن حتى لا يستفيد منها الجيش التركى ، وحينئذ لا يجد الجيش التركى شيئًا يستعملونه ووقع الضرر كله على بلبيس وأهلها .

أيام مراد بك وإبراهيم بك :

أثناء الحكم التركى لمصر ظهر مراد بك وإبراهيم بك [1] على الشاشة المصرية وتمكن الاثنان من حكم مصر داخلياً وأصبحت السلطة فى أيديهما - كانت البلاد فى كثير من الأوقات فى حالة سيئة اقتصاديا وسياسياً مما كان يؤدى إلى ظلم الحكام لأهل البلاد ، وأدى ذلك إلى كثرة ثورات الأهالى ضد الحكام ، وكانت المدن الهامة التى تحمل لواء الثورة هى القاهرة ورشيد وبلبيس ، وكان بعض هذه الثورات يبدو عنيفا وكأنما تنبئ بثورة شاملة [2] .

وحدث أيضاً أنه فى أواخر عام (١٧٩٥ / ١٢٠٩ هـ) اشتدت وطأة أحد الأمراء على بلبيس فى تحصيل الأموال فإلتجاء الفلاحون إلى الشيخ عبد الله الشرقاوى ليحميهم وكان الشيخ نفسه قد أصابه ضرر من جراء تحصيل الأموال ، فبدأ الشيخ بمخاطبة مراد بك وإبراهيم بك فلما لم يجد لمسعاه أثراً فى إصلاح الحال بالسعى السلمى دعا إلى الثورة فوجد النفوس مستعدة فاجتمع كثيرون من أهل القاهر ومن أهل الأطراف ، وأوشك الأمر أن يؤدى إلى ثورة دموية مدمرة ، وقضت القاهرة ثلاثة أيام فى اضطراب وخوف والقاس مصرون على أن يقف

---

(١) سيرة عمر مكرم لمحمد فريد أبو حديد (ص ٣١) .

(٢) وانظر أيضاً : سيرة عمر مكرم للدكتور عبد العزيز الشناوى .

الحكام عند حد العدل والحق أو يواصلوا الجهاد وإن أدى إلى إراقة الدماء ، وبذل الأموال والأنفس وأخيراً نزل مراد بك وإبراهيم على رأى العلماء وأمرا بأن يكف العمال عن اتباع الظلم فارتفع الظلم عن أهل بلبيس إذ كانت بلبيس هى الشرارة الأولى للثورة .

وحدث أيضاً حوادث نهب ذلك أن الأصبهانية وهم فرقة من عساكر الترك قاموا بنهب مدينة بلبيس والصالحية فثار الفلاحون مما اضطر الأمراء لإحضار الجنود وتوبيخهم على ذلك .

* * *

بلبيس والحملة الفرنسية

ذكر المؤرخ العلامة الجبرتى عن بلبيس والحملة الفرنسية ما يأتى :

« فى عشرين صفر سن (١٢١٣ هـ - ٣ اغسطس سنة ١٧٩٨م) حضرت مكاتيب الحجاج من العقبة فذهب أرباب (أعضاء) الديوان إلى باش عسكر (القائد العام) ، وأعلموه بذلك وطلبوا منه أماناً لأمير الحج « صالح بك » فامتنع وقال : لا أعطيه ذلك إلا بشرط أن يأتى فى قلة ولا يدخل معه مماليك كثيرة ولا عسكر . فقالوا له : ومن يوصل الحجاج . فقال لهم : أنا أرسل لهم أربعة آلاف من العسكر يوصلونهم إلى مصر فكتبوا لأمير الحج مكاتبة بالملاطفة وأنه يحضر بالحجاج إلى الدار الحمراء ، وبعد ذلك يحصل الخبر فلم تصل إليهم الجوابات حتى كاتبهم إبراهيم بك يطلبهم للحضور إلى جهة بلبيس فتوجهوا إلى بلبيس وأقاموا هناك أياماً » [1] .

وإليك ما جاء عن الحملة الفرنسية ، وموقف بلبيس الجرئ من هذه الحملة بالتفصيل فى كتاب الأستاذ عبد الرحمن الرافعى .

* * *

توزيع القوات الفرنسية فى الوجه البحرى

صحت عزيمة نابليون إذن على تجريد جيش للقضاء على قوة إبراهيم بك فى

---

(١) تاريخ الحركة القومية - عبد الرحمن الرافعى (ص ٢١١) .

شرق الدلتا ، وقبل أن يزحف بجيشه وزع القوات العسكرية على مديريات الوجه البحرى لإخضاعها وتوطيد سلطة الفرنسيين فيها فعين الجنرال فيال " Vial " قومندانا لمديريتى المنصورة ودمياط ، والجنرال زايونشك " Zayonchek " قومنداناً للمنوفية ، والجنرال فوجير " Fugiéres " قومندانا للغربية على أن يكون مقره المحلة الكبرى عاصمة المديرية فى ذلك العصـــــر ، والجـــنرال مـــورا " Murat " للقليوبية ، والجنرال رامبون " Rampon " لاطفيح ، وأبقى الجنرال ديزيه " Desaix " جنوبى الجيزة يرصد حركات مراد بك ، وأمر الجنرال لكلرك " Leclerck " بالسير إلى بلبيس .

* * *

المعارك بين الخانكة وأبى زعبل

بدأت طلائع الجيش الفرنسى تزحف يوم (٢ أغسطس سنة ١٧٩٨م) من القاهرة بقيادة الجنرال لكلرك ، فمرت بالقبة ومنها سارت إلى المطرية ثم إلى المرج دون أن تجد مقاومة ما ، فإن الأهالى كانوا ينزحون عن بلادهم قبل قدوم الفرنسيين ، ومن المرج سارت القوة إلى الخانقاه (الخانكة) ، وبها استقرت واتخذها الفرنسيون قاعدة عسكرية للزحف ومركزاً لتموين الجيش ، وأنشأوا بها الأفران ومخازن البقسماط والزاد والعلف .

قصدت الكتيبة يوم (٤ من أغسطس) قرية أبى زعبل ، ولكن صدهم عنها جمع من العرب والفلاحين مسلحين بالبنادق والعصى [١] (الشماريخ) ، فعادت الكتيبة أدراجها إلى الخانكة ، وأخذ الأهالى من العرب والفلاحين يتعقبونها إلى مستقرها .

وفى صباح (٥ من أغسطس) هاجم الأهالى المخافر الأمامية لمعسكر الخانكة بقوة أكبر من قوتهم الأولى إذ انضم مائتان من المماليك ، وبدأ الهجوم ، فبرزت من غابة أبى زعبل قوة من فرسان العرب يتبعهم عدد حاشد من الفلاحين ، ولم يكن هؤلاء يحملون فى الغالب إلا أسلحة ضعيفة فلم يتجاوز عدد حملة البنادق منهم السدس ، فأحاطوا بالفرنسيين من كل جانب ، تخفيهم الزروع والغيطان ،

---

(١) تقرير الكابتن مالوس إلى الجنرال كافاريللى .

وانضم إليهم سكان القرى المجاورة [1] فأطلقوا النار على الفرنسيين من كل صوب، ولكن نيران المدفعية والبنادق أوقفتهم بعيداً عن المعسكر ، فأعادوا الهجوم كرة بعد كرة ، واضطر جنود المقدمة إلى التراجع .

* * *

انسحاب الفرنسيين من الخانكة ثم احتلالها

وأدرك الجنرال لكلرك الخطر من الإصرار على الدفاع عن قرية الخانكة ، فأجمع أن ينسحب منها ويرتد غرباً ، وفى أثناء المعركة ثارت قرية الخانكة نفسها فوثب أهلها برجال الحرس الفرنسيين الموجودين بها فجردوهم من السلاح وقتلوهم .

استولى الفزع على الجنود الفرنسية ، ولم يطيقوا البقاء معرضين للهجمات فجمع القائد ضباطه وتشاوروا فى الأمر فاستقروا على إخلاء الخانكة والتراجع عن القرية ، فتقهقروا بعد غروب الشمس وكان عددهم نحو ستمائة مقاتل وارتدوا قاصدين المطرية ، وفى طريقهم إليها قابلهم الكولونيل سلكوسكى أحد ياوران نابليون فأنبأهم بقرب وصول فرقة الجنرال رينييه Reynier لنجدتهم ، لكنهم استمروا فى إدبارهم حتى وصلوا إلى المرج وقضوا بها آخرة الليل ، ولما لاح الفجر وصلت قوة الجنرال رينييه فرجعوا يريدون استرداد الخانكة ووصلوا إليها ظهر يوم (٦ أغسطس) وقد زاد عددهم ، فوجدوها خالية من أهلها [2] .

كانت الخانكة من جهة موقعها ذات شأن عظيم لأنها تكاد تكون فى منتصف الطريق بين القاهرة وبلبيس ، لذلك وجه إليها نابليون عناية كبرى فى اتخاذها

---

(١) تقرير الكابتن مالوس .

(٢) أخذنا هذه البيانات عن تقرير الكابتن مالوس إلى الجنرال كافريللى ، وإليك ما ذكره الجبرتى فى هذا الصدد : « فى ثالث وعشرين صفر (١٢١٣) خرجت طائفة من العسكر الفرنساوى إلى جهة العدلية وصار فى كل يوم تذهب طائفة بعد أخرى ، ويذهبون إلى جهة الشرق أما كان ليلة الأربعاء خرج كبيرهم بونابارت وكانت أوائلهم وصلت إلى الخانكة وأبى زعبل ، وطلبوا كلفة من أبى زعبل فامتنعوا ، فقاتلوهم فضربوهم وكسروهم ونهبوا البلدة وأحرقوها وارتحلوا إلى بلبيس » .

نقطة ارتكاز للزحف ، وكان فى أوامره العسكرية يهتم بجعلها على تمام الأهبة لإقامة الجنود بها .

وكان سير الجيش محفوفا بصعوبات كبيرة لاصطدامه مع الأهالى أين توجه ، كتب الجنرال لوجيه Laugier إلى الجنرال دوجا فى (٦ أغسطس) يقول :

« ثارت القرى التى أرسلنا إليها بعض فرسان الدراجون لأخذ الخيول منها وعاد الفرسان يخبروننا بهذه الثورات ، وكل الدلائل تدل على أنه لا بد من قوة كبيرة لإخضاع هذه الجهات » .

* * *

احتلال بلبيس

ثم وسلت بقية الجيش الفرنسى بعد استرداد الخانكة ، فجاء نابليون ومعه فرقتا الجنرال دوجا والجنرال لان ، وانضمت إليهما فرقة الجنرال رينييه .

فسار نابليون على رأس الفرق الثلاث قاصداً بلبيس عاصمة الشرقية فى ذلك الحين ووصل إليها يوم (٩ أغسطس) بعد أن أخلاها إبراهيم بك فاعتزم نابليون أن يتعقبه قبل أن يغادر حدود مصر إلى الشام ، ولقى الفرنسيون فى بلبيس من بقى من الحجاج بعد أن ارتحل بعضهم إلى بلادهم قبل وصول الجيش الفرنسى ، وكان أمير الحج صالح بك قد لحق بإبراهيم وصحبته جماعة من التجار وغيرهم لأن إبراهيم بك كتب إلى أمير الحج بعد معركة الأهرام ينصح له أن لا يذهب إلى القاهرة ، ويرغب إليه فى اللحاق به فى الصالحية ، وبقى فى بلبيس من لم يقدر من الحجاج أن يغادرها فلم يتعرض لهم الفرنسيون بسوء وأرسلوهم إلى القاهرة تحرسهم كوكبة من جنودهم [١] ، وفى ذلك يقول الجبرتى : « وفى (١٨ صفر) ملك الفرنسيين بلبيس من غير قتال ، ومن فى فيها من الحجاج لم يشوشوا عليه فأرسلوهم إلى مصر ومعهم طائفة من العسكر » .

* * *

---

(١) عين نابليون بعد عودته إلى القاهر مصطفى بك كتخدا (وكيل الوالى) أميراً للحج بتاريخ (٢ سبتمبر سنة ١٧٩٨) (٢١ ربيع الأول سنة ١٢١٣) كما أوضحنا ذلك فى الفصل الثانى عشر .

معركة الصالحية (١١ أغسطس سنة ١٧٩٨)

لم يضيع نابليون وقتاً فى بلبيس بل أرسل قوة من فرسانه ليلة (١٠ أغسطس) فى أعقاب إبراهيم بك ، ووصل الجيش إلى (القرين) فى (١٠ أغسطس) دون أن يلحق بقوة إبراهيم بك الذى غادرها قبيل وصول الجيش الفرنسى قاصداً إلى الصالحية ، فتعقبه نابليون بفرسانه دون أن ينتظر فرقة الجنرال لان Lannes وانضم إليه الجنرال مورا Murat الذى جاء من قليوب بقوة الفرسان ، فاشتبك نابليون مع قوة المماليك فى معركة عرفت بمعركة الصالحية (١١ أغسطس سنة ١٧٩٨) لأنها وقعت على مقربة منها ، وقد حمى وطيس القتال فى هذه المعركة وكادت تدور الدائرة على قوة الفرنسيين لأنها كانت مؤلفة من عدد قليل من فرسانهم لا يزيد عن أربعمائة ، وكان فرسان المماليك أكثر منهم عدداً وأشد بأساً، فكانت هذه أول معركة نشبت بين فرسان الجيشين ، والتقى فيها الفريقان وجهاً لوجه ، واقتتلوا بالسلاح الأبيض ، فتحرج مركز الفرنسيين لأن فرسان المماليك اشتهروا بالمهارة والبسالة فى قتالهم ، ولا غرو فقد كانوا أحلاس الخيل، وأبناء الطعن والضرب ، ولم ينقذ نابليون إلا وصول المدد من الجنرال لكلرك ، فاضطر المماليك إلى الانسحاب ، وجرح فى هذه المعركة من خاصة رجال نابليون الكولونل سلكوسكى [١] ياوره والكولونيل ديترس Detres وغيرهما من الضباط جروحاً بالغة ، وفى ذلك يقول الجبرتى :

« فركب سارى عسكر وأخذ معه الخيالة ، وقصد الإغارة على الحملة وعلم إبراهيم بك بذلك أيضاً ، فركب هو وصالح بك (أمير الحج) وعدة من الأمراء المماليك وتحاربوا معهم ساعة أشرف فيها الفرنسيس على الهزيمة لكونهم على الخيول ، وإذا بالخبر وصل إلى إبراهيم بك بأن العرب مالوا على الحملة يقصدون نهبها ، فعند ذلك فر بمن معه على أثره ، وتركوا قتال الفرنسيس ولحقوا بالعرب فأجلوهم عن متاعهم وقتلوا منهم عدة ، فارتحلوا إلى قطيا ورجع سارى عسكر (نابليون) إلى مصر وترك عدة من عساكره متفرقين فى البلاد » .

فالجبرتى ينسب انسحاب المماليك فى معركة الصالحية إلى نهب العربان

---

(١) هو الذى قتل فى ثورة القاهرة ، راجع الفصل الثالث عشر .

للحملة واضطرار أولئك إلى إجلائهم عنها واستعادتها منهم ، وقد انتهت هذه المعركة بانسحاب إبراهيم بك ومن معه إلى حدود مصر الشرقية .

* * *

عودة نابليون إلى القاهرة

غادر نابليون الصالحية يوم (١٣ أغسطس) عائداً إلى القاهرة ، وفى طريقه إليها جاءه نبأ كارثة الأسطول الفرنسى فى واقعة أبو قير ومقتل الأميرال برويس [١] ، حمل إليه هذا النبأ الضابط لوييه Loyer ياور الجنرال كليبر فى رسالة بعث بها إليه كليبر من الإسكندرية ، فلما تلا نابليون الرسالة وفيها أعظم نكبة أصابت الحملة الفرنسية تلقاها بالجلد والصبر ، ولم تبد عليه علائم الاضطراب وأخذ يسأل الياور عن تفاصيل الواقعة مما لم يرد فى الرسالة ، وبعد أن أتم الياور كلامه أبلغ نابليون نبأ الكارثة إلى أركان حربه قائلاً لهم : « إن أسطولنا لم يعد له وجود ، والآن يجب علينا أن نبقى فى هذه البلاد أو نخرج منها عظماء كما فعل الأقدمون » ، ثم عجل بالمسير إلى القاهرة ليزيل بوجوده الأثر المعنوى الذى أحدثته أخبار الكارثة فى مصر فجاءها يوم (١٤ أغسطس سنة ١٧٩٨) ، وهناك خاطب ضباطه قائلاً : « ها نحن أولاء مضطرون أن نعمل العظائم وسنعملها ، وأن نؤسس فى هذه البلاد دولة كبيرة وسنؤسسها إن البحار تفصل بيننا وبين الوطن ولا سلطان لنا على هذه البحار ، ولكن ليس ثمة فاصل يفصلنا عن آسيا وأفريقية ، وعندنا من الرجال العدد الوافر ، ولا ينقصنا المدد لتقوية صفوفنا ولا تنقصنا الميرة والذخيرة ، وإذا احتجنا إلى المزيد منا فإن شامبى Champy [٢] وكونتى Conte [٣] كفيلان بصنعها [٤] » .

* * *

---

(١) يقول نابليون فى رسالته إلى كليبر الواردة فى مجموعة رسائله رقم (٣٠١٨) إنه تلقى نبأ الواقعة فى الصالحية ، وفى تقريره إلى حكومة الدير كتوار يقول إنه تلقاه بعد أن غادر الصالحية إذ كان على بعد فرسخين منها .

(٢) ، (٣) من أعضاء المجمع العلمى .

(٤) نقلنا هذه العبارة عن مذكرات نابليون التى أملاها على الجنرال برتران بانت هيلين ، وقد كتب الجنرال مارمون فى كتابه (رحلة المارشال الدوق دى راجوز) يقول : إنه كان =

الاضطرابات فى الشرقية

عادت فرقة الجنرال لان إلى القاهرة ورجع الجنرال مورا Murat بالقوة التى كانت تحت إمرته إلى قليوب لإخضاع مديرية القليوبية ، وسار الجنرال دوجا بفرقته إلى المنصورة لإخضاع القسم الشمالى الشرقى من الدلتا [1] ، وبقيت فرقة الجنرال رينييه وفرسان الجنرال لكلرك فى الصالحية حيث أمر نابليون بتحصينها لحراسة برزخ السويس ومراقبة حدود مصر الشرقية ، واتخذ من الصالحية مركزاً لتموين الجيش ، وعين الجنرال رينييه قومندانا لمديرية الشرقية وعهد إليه فى إقامة الطوابى والاستحكامات بالصالحية وبلبيس واستطلاع أخبار المماليك الذين ارتدوا إلى حدود سوريا ، وقد اتخذ الجنرال رينييه مسجد الصالحية مركزاً عسكرياً للفرقة وأنشأ فيه الأفران والمخابز للجيش ، وأقام فيه المدافع ، وأقره نابليون على صنيعه المثير لحفيظة الأهالى وأمره أن يزيد عدد الأفران التى بالمسجد وعدد المدافع التى نصبوها عليه ، وأن يتخذ فيه مخزناً للبارود ومستشفى للجنود ويجعل منارته مرصداً لاستطلاع الحركات العدائية ، وقد صارت الصالحية وبلبيس فى عهد الحملة الفرنسية من المواقع الحصينة وعلى جانب كبير من المناعة .

كان مقام رينييه فى الشرق مقروناً باعتداء الجنود وجرائمهم ، فكانوا يجوبون القرى وينهبون الماشية فيضطر الناس إلى الرحيل عن قراهم لتهريب مواشيهم فى الصحراء ، وعبثاً حاول الجنرال رينييه أن يرد النظام فى صفوف جنوده أو يقنع الأهالى فى القرى المجاورة أن يبيعوه ما يحتاج إليه من المواشى بالثمن فلم يصدقوه، ولم يأمنوه وأخذوا يفرون من القرى بمواشيهم نجاة بها من النهب

= بجانب نابليون حينما جاءه نبأ كارثة العمارة الفرنسية فى معركة أبو قير وإنه تلقى هذا النبأ وهو فى خيمته (خيمة مارمون) فى معسكر الخانكة بين بلبيس والقاهر (وهذا يخالف ما ذكره نابليون كما بيناه فى هامش الصفحة السابقة) قال مارمون يصف حالة نابليون عندئذ: « تلا الجنرال بونابرت رسالة كليبر وظل ثابتاً رابط الجاش ، وأبان عن شيء كثير من علو النفس وقوة البأس ، ولم يكتم عنا عظم النكبة وما تجره من العواقب ، ولكنه اجتهد فى أن يخفف أثر وقعها » ، وذكر الجنرال مارمون أقوال نابليون وهى لا تخرج فى معناها عما جاء فى مذاكراته .

(١) قبل أن يغادر نابليون الصالحية أصدر أمره بتعيين الجنرال دوجا قومنداناً لمديرية المنصورة وأن يقتصر الجنرال فيال على دمياط .

والسلب ، وكانت صدور الفرنسيين من جهة أخرى موغرة على الأهالى لحملهم السلاح فى وجههم ، فاضطربت الأحوال فى الشرقية وظل الأهالى يناوشون الحاميات الفرنسية ويتهددون مواصلات الجيش مع القاهرة ، وقد اشتدت حركاتهم فى أوائل أكتوبر سنة (١٧٩٨) عندما انبثت فكرة الثورة فى القاهرة وبدأت تذيع الدعوة لباقى الأقاليم ، فاجترأ الثوار على مهاجمة المخافر الفرنسية ، وقتل الأهالى ترجمان الجنرال رينييه الخاص على مقربة من معسكر الفرنسيين فى بلبيس وقاوم أهل « بيشه » الفرنسيين عندما شرعوا فى مصادرة خيولهم ، وبدأ أهالى بلبيس وأعوانهم من العرب المجاورين لهم يهاجمون معسكر الفرنسيين فى المدينة، ولم يستطع الجنرال رينييه أن يخضع القوم لأن الفيضان قد خرب الأرض فعطل حركات الجنود فى انتقالها إلى القرى ، كما أن الأمراض قد فتكت بالجنود وبخاصة الرمد الذى انتشر بينهم .

وقد كان لجمود الحامية الفرنسية ولدعوة الثورة التى استطارت من القاهرة فى الأقاليم أثر كبير فى تشجيع الأهالى على مهاجمة معسكر بلبيس بقوة كبيرة ، فبدأ هجومهم فجر يوم (٢١ أكتوبر سنة ١٧٩٨) فأقبل مائة من الفرسان من قبيلة العائذ قادمين من الصحراء فالتقوا بكتيبة من الفرنسيين ، وقتلوا منها بعض الجنود، فرد الجنرال رينييه هجمة العرب ولكنه اضطر أن ينسحب إلى بلبيس ليرد هجوما آخر كان يتهدد مركزه فى المدينة وقد اشترك فيه (٢٥٠) من الفرسان و(١٢٠٠) من المشاة .

فرابط رينييه بالمدينة حتى أقبل إليه المدد ثم أخذ يهاجم الثوار إلى أن ارتدوا عنها وسار بجنوده يتعقبهم حتى غابوا فى الصحراء فعاد إلى بلبيس ، وفى هذا الوقت كان عرب بلى قد أقبلوا من طريق القاهرة ، وهاجموا المعسكر فردهم الجنود الفرنسية ، ثم كروا بعد قليل ولهم قوة أكبر فكان عددهم كما قدرهم الجنرال رينييه (٥٠٠) فارس و(١٢٠٠) إلى (١٥٠٠) راجل ، فمال عليهم رينييه بجنوده ومدفعيته ففرقهم بالبنادق والمدافع وردهم إلى قرية « غيتة » [1] ، وفيما هو على أثرهم هجم الجمع الحاشد من أهالى البلاد المجاورة (قدرهم رينييه بألفين من المشاة و١٥٠) من الفرسان) على الفضاء الذى يفصل المعسكر عن

---

(١) فى الجنوب الغربى لبلبيس .

بلبيس ، ولكن رينيه ردهم على أعقابهم عند عودته إلى المدينة ثم عادوا إلى الهجوم ثانية وكذلك ردتهم الجنود الفرنسية ثم استمرت الحرب سجالا بين الفريقين .

لم تنقطع الحركات العدائية حول بلبيس ، ولم يكن لدى الجنرال رينييه من الجنود القوة الكافية لتجريد حملة على الثوار تغزوهم فى بلادهم وقراهم فأصبحت مواصلات الجيش الفرنسى مهددة ، وأرسل رينييه يطلب النجدة من نابليون فأمده وأمره ألا يغفل عن تحسين موقعى بلبيس والصالحية وأن ينهك بعقوبته القبائل التى تمردت أو شاركت فى الحركات الأخيرة ، ويأخذ منها الرهائن وأمره كذلك بمعاقبة البلاد التى اشتركت فى الثورة ، وأن يأخذ مشايخها ويقتلهم لأنهم هم المسئولون فهم المآخذون بما يحدث فى بلادهم .

وقد علم الأهالى والعرب أن رينييه زاحف عليهم للإيقاع بهم والقصاص منهم فأوغلوا فى البلاد البعيدة ، وأخلوا القرى المجاورة لبلبيس فلم يستطع رينييه أن يجرد حمله لتعقبهم وآثر أن يعدل معهم إلى المحاسنة فلجأ إلى المفاوضة مع زعمائهم لإعادة السكينة وإقرارها لكنه لم يوفق توفيقا يعتد به .

واستمرت الاضطرابات فى الشرقية بعد ذلك لم تنقطع .

قال الجبرتى المؤرخ فى حوادث آخر رجب سنة (١٢١٣ هـ) ، ديسمبر (١٧٩٨م) :

« حضر سارى عسكر نابليون من ناحية بلبيس إلى مصر ليلاً ، وأحضر معه عدة عربان وعبد الرحمن أباظة أخو سليمان أباظة شيخ العبابدة وخلافه رهائن وضربوا أبو زعبل والمنير ، وأخذوا مواشيهم وحضروا بهم إلى القاهرة وخلفهم أصحابهم (١) .

ويمكن أن نقول إن الطريق الأساسى من فلسطين إلى مصر هو كما يأتى :

يبدأ من رفح - العريش - الفرما - الصالحية - القرين - ثم العباسة - بلبيس - عين شمس ثم ينتهى عند بابليون (مصر القديمة) .

---

(١) الحركة القومية تأليف عبد الرحمن الرافعى (ص ٢١٨) .

بلبيس والثورة العرابية

قام الزعيم أحمد عرابى يطالب بحقوق المصريين قام فى وجه الخديوى الذى انقاد لآراء الإنجليز دبرت المؤامرة ضد أحمد عرابى ، وقامت الثورة وقامت الحرب، وإنه وإن كان الخديوى والإنجليز انتصروا على الشعب إلا أن الانتصار كان مؤقتا فهاهم الإنجليز قد خرجوا يجرون أذيال الخيبة وهاهى أسرة محمد على تنتهى وأصبحت أثراً بعد عين أما مصر فبقيت ونالت حريتها .

وكما يقولون « ساعة الظلم ساعة وساعة العدل والحق إلى قيام الساعة » .

أما بلبيس فى هذه الحركة فهى الخط الثانى للدفاع بعد الإسماعيلية وأبى صوير والتل الكبير أضف إلى ذلك أن الزعيم أحمد عرابى فهو من الشرقية والتى كانت عاصمتها بلبيس سابقاً .

* * *

الباب الثامن
القبائل العربية فى بلبيس

القبائل العربية التى جاءت مصر وبلبيس

عمد بعض الخلفاء الأمويين إلى نظام إدخال بعض القبائل العربية إلى مصر وتوزيعهم على المدن المصرية لأسباب عدة منها العمل على إدخال عناصر جديدة تقوم بالزراعة والتجارة والنقل أو كما نسميه اليوم الاستثمار الأجنبى ، وتشجيعه بدأ هذا التفكير أيام ابن الحبحاب والى مصر من قبل الخليفة الأموى هشام بن عبد الملك فى سنة (١٠٩ هـ / ٧٢٧م) .

عمد هذا الخليفة إلى تهجير بعض القبائل من الجزيرة العربية إلى مصر ولما دخلوها أسكن بعضهم مدينة بلبيس وأعطاهم وزودهم بالخيل والجمال ، وأناط بهم أعمال متعددة كحراسة القوافل المارة من ساحل البحر الأحمر إلى داخل البلاد [١] .

كما قاموا فى بعض الأوقات بنقل البضائع ثم اشتغل بعضهم بالتجارة والزراعة، وكانت تصرف لبعضهم بعض مبالغ تشجيعاً لهم على الاستمرار فى العمل .

لكن التهجير لم يتوقف بل نرى بعض الخلفاء العباسيين ينقلون بعض القبائل العربية مثل قبيلتى سليم وبنى هلال ، والتى ترجع نسب عرب الطحاوية إليهم، وقد زاد عدد هذه القبائل حتى أصبحوا قوة ، وأصبحنا نسمع عن حكايات وأساطير تدل على ما وصلوا إليه من قوة وثراء ، وما زلنا نسمع عن أبو زيد الهلالى وسلامة والسفيرة عزيزة والزناتى خليفة، وكيف كثرت الأساطير حولهم.

وقد زادت قوة هذه القبائل فنراهم فى بعض الأوقات تقوم بثورات ضد الحكام والولاة المصريين ، ففى عهد المعز أيبك السلطان المملوكى فيقبض عليهم ، ويعلق بعضهم على المشانق فى بلبيس فقلت شوكتهم .

أما فى أيام نابليون فنراهم يشتغلون بنقل الرسائل بين القاهرة والشام نظير أجر وكان الطريق هو الطريق المار بمدينة بلبيس .

---

(١) كان النقل أيضاً من القلزم حتى الشام مارا بمدينة بلبيس .

القبائل العربية فى مصر

عرف العرب مصر قبل الإسلام بزمن بعيد فقد كان بعض العرب يجيئون إلى مصر كتجار ، ومما يؤكد ذلك القوافل التى اشترت سيدنا يوسف وباعوه إلى فرعون مصر .

ثم زادت الصلة بين مصر والعرب عندما تزوج سيدنا إبراهيم هاجر المصرية ، وانجبت سيدنا إسماعيل الذى اتخذ من مكة مقاماً له .

كما تؤكد كتب التاريخ أن سيدنا عمرو بن العاص رضى الله عنه زار مصر ، وأنه حضر حفلاً مصرياً ، وسقطت على رأسه كرة ، وأن هذه الكرة متى تسقط على شخص فإنه سيصبح حاكماً على مصر مما كان لهذا وقع شديد فى نفوس المصريين إذ كيف يأتى يوم ويحكم رجل عربى مصر مما جعل هذا الحادث يحتل مكاناً بارزاً فى كتب التاريخ .

ثم امتدت هذه الصلة عندما غزا عمرو بن العاص مصر واشترك فى جيشه عدد كثير من العرب المسلمون ، والذين سكنوا مصر بعد فتح العرب لمصر .

١ - قبيلة العزازية : التى سكنت الزقازيق وبلبيس ، وكذلك سكنت قبيلة بنى عليم بلبيس أما قبيلة العابد ، فإنها جاءت مصر مع عمرو بن العاص أثناء فتح مصر.

أما قبيلة بنى سليم فقد سكن بعضهم مدينة بلبيس وكان عددهم مائة أسرة[(١)] .

٢ - قبيلة قيس : نزلت قبيلة قيس بن عليان مصر وبلبيس وجاءت هذه القبيلة بأمر من والى مصر هشام بن عبد الملك سنة (١٠٩ هـ) ، وكان عددهم حوالى خمسة آلاف شخص ، وانتشروا داخل البلاد وكان أهم عمل لهم نقل المؤن من مصر إلى القلزم (السويس الآن) ، وكذلك اهتموا بتربية الخيول .

٣ - قبيلة عبس : سكن كثير منهم بلبيس وعاشوا مع قبيلة قيس الذى كانوا قد جاءوا قبلهم إلى بلبيس .

٤ - قبيلة أخرى سكنت مدينة غيفة ، وهى غيثة الآن وهى تجاور بلبيس وتابعة

---

(١) كتاب نحن العرب تأليف لواء حامد أحمد صالح (ص ١٢١) .

لها ، وكان الحجاج ينزلون بهذه القرية إذا خرجوا للحج كما كان بهذه القرية موالى (أصحاب) لخليفة المسلمين . عثمان بن عفان رضى الله عنه وأمثال حسين ابن إدريس وعمر بن إدريس وتوفى سنة (٣٢٩ هـ) [(١)] .

٥ - أما قبيلة الطحاوية فسكنت بلبيس كما سكنت قبيلة الطميلات الوادى المسمى بها ، وإن كان بعض أفرادها سكنوا الفيوم .

* * *

قبيلة بنى هلال أو الهلالية

كانت هذه القبيلة تسكن الجزيرة العربية - واتخذت منطقة نجد - مقاماً لها قبل الإسلام - ولما ظهر الإسلام اعتنق أفرادها الدين الإسلامى على يد سيدنا محمد ﷺ ، وحسن إسلامهم واشتركوا فى حروب المسلمين ، ثم أخذوا ينتشرون فى البلاد الإسلامية كالعراق والشام ومصر .

وكانت أزمة طاحنة أحلت بالجزيرة العربية مما أدى إلى هجرة بعض القبائل أمثال قبيلة الهلالية إلى الدول الإسلامية المجاورة .

جاء بعض أفراد هذه القبيلة إلى بلبيس واستقروا بها .

جاء فى رسالة عن قبيلة الهلالية ما يأتى .

أما وصولهم إلى مصر فكان عن طريق العريش ثم الفرما ، ثم إلى بلبيس ، ثم إلى الفسطاط ، وكان ذلك تقريباً فى عصر العزيز بالله الفاطمى .

أما سبب استقرار بعضهم فى بلبيس أنها كانت منطقة ذات أراض واسعة تصلح لأيواء هذا العدد الكبير .

جاء أيضاً : « اتجه الهلالية إلى العريش وقتلوا أميرها البردويل الحاكم الأجنبى، ولم يكن مسلماً ودخلوا أرض مصر وضربوا جباههم فى الحوف الشرقى فكانت مضارب أمرائهم فى بلبيس » .

ونخلص من ذلك أن بعض القبائل العربية جاء إلى مصر قبل وبعد الإسلام إلا أن الكثير منهم سكن مصر واستقر بها ، وأصبح بعض المدن والقرى يسمى

---

(١) القبائل (ص ٨٨) وولاة مصر للكندى (ص ٥٠) .

باسمهم مثل قرية العزازية ، وقرية بنى عليم ، وقرية العابد ، وبنى هليلا ، والطحاوية وغيرها .

ويمكن أن نقول إن بعض القبائل العربية التى سكنت بلبيس هى :

١ - قبيلة قيس عيلان	٢ - العابد
٣ - العزازية	٤ - بنى عامر
٥ - بنى عليم	٦ - بنى نصير
٧ - الهنادى	٨ - الطحاوية
٩ - الهلالية	١٠ - بنى هلال

* * *

أبو زيد الهلالى

١ - يعتبر أبو زيد الهلالى من أهم شخصيات قبيلة الهلالية فقد نشأ منذ صغره بطلا شجاعاً قاد الجيوش ، وانتصر على الأعداء ، وفك أسر المسجونين من قبيلته، والتى كان سجنهم الزناتى خليفة حاكم تونس ، وتمكن أبو زيد من أن يحكم تونس وبعض بلاد شمال أفريقية ، وكان منجد الطرق المختلفة والوسائل العديدة للخروج من الصعوبات والمآزق التى تقف فى سبيله ، ولكن حدث نزاع بين أبو زيد ، وبين دياب ابن غانم انتهى بقتل أبو زيد الهلالى [١] .

٢ - الشاطر حسن : هو من زعماء « قبيلة بنى هلال واشتهر بحسن الخلق والشجاعة والعدل ، وكان يعطى ولا يأخذ يعفو عمن أساء إليه ، وكان يلبس أحسن الثياب وأفخره ويهتم بالملبس والتأنق - وكان يمثل الوجاهة والكرم ، وينظر إليه الناس نظرة إعجاب وإحترام وقد قتله دياب ابن غانم .

٣ - دياب ابن غانم : هو من قبيلة زغبة وهى فرع من قبيلة الهلالية .

كان دياب بن غانم رجلاً غداراً وحقوداً ذا أخلاق سيئة لا يعرف حقوق الناس بل اتصف بالظلم يريد أن يستولى على كل شىء بحق وبغير حق - القوة هى

---

(١) عالم الفكر - الملاحم الشعبية (ص ٥٢) .

طريقه لم يهتم بالقرابة أو المصاهرة - قتل الشاطر حسن مع أنه صهره وقريبه كما قتل أبو زيد الهلالى .

٤ - ابن يقر : كان زعيم القبائل العربية أيام الدولة العثمانية وقاموا بثورة ضد الحاكم العثمانى ، وقد لعب بعض هذه القبائل دوراً هاماً فى الشرقية أيام ثورة الزعيم أحمد عرابى ضد انجلترا .

٥ - العابد : كان شيخ العرب نجم شيخ العابد من ضمن كبار الدولة الذين وزع عليهم الخلع (الملابس) والهدايا من السلطان ، وهو دليل قاطع على أهمية مدينة بلبيس من ناحية ، وعلى أن قبائل متعددة اتخذت مدينة بلبيس سكناً لهم حدث هذا أيام المماليك الجراكسة .

٦ - السفيرة عزيزة .

٧ - خضرة الشريفة : وقد لعبت دوراً هاماً في الحروب التى قامت بين الهلالية وأعدائهم .

٨ - الزناتى خليفة : حاكم تونس وقد حارب الهلالية وانتصر عليهم وسجن بعضهم ولكن « أبو زيد » تمكن من أن ينتصر عليه ، وفك أسر المسجونين ، وقتل الزناتى خليفة ، وحكم أبو زيد تونس بدلاً منه .

* * *

الأمثلة التى اشتهرت بها أهل بلبيس

كان من نتائج القبائل المختلفة التى مرت ببلبس وسكن بعضها هذه المدينة أن تركوا لنا بعض الأمثلة التى مازال الناس يذكرونها فى المناسبات .

ولنذكر بعض هذه الأمثلة :

١ - فتنا على بلبيس ياما جرى لنا تبيع العيش بالميزان والمش بالفنجان .

٢ - فلان عامل أبو على .

٣ - هو أنت رغبى .

٤ - دياب بن غانم وأبو زيد الهلالى .

٥ - كأنك يا أبو زيد ما غزيت .

٦ - سكة أبو زيد كلها مسالك .

٧ - ملاعب شيحة .

١ - فتنا على بلبيس ياما جرى لنا تسبيع العيش بالميزان والمش بالفنجان :

يرى بعض الناس أن هذا المثل دليل على بخل أهل بلبيس لأنهم لم يعطوا بنى الهلال أثناء مرورهم أو مكوثهم ببلبيس خبزاً بدون ميزان أى بدون تحديد الكمية وتحديد المبلغ .

ولكن هذا المثل فهم لدى الناس خطأ ذلك أن الهلالية جاءت فى وقت حروب، ولم تكن هناك أوقات سلام حيث تكثر المواد الغذائية ، وكان لا بد أن تحدد الكميات حتى لا تنفذ هذه المواد .

والتفسير الآخر هو أن بلبيس كانت مدينة متحضرة ، وسارت على طرق التموين المنظم فوضعت التسعيرة للمواد الغذائية فسعرت العيش والمش .

ولم تترك هذه المواد تباع جزافاً وها نحن اليوم ، وقد وضعت وزارة التموين النظم الحديثة فحددت للرغيف وزنا خاص وسعراً محدد ، وهنا يمكن أن نقول إن هذا المثل يدل على أن أهل بلبيس سبقوا حضار القرن العشرين ، ولم يكن أهلها بخلاء .

٢ - فلان عامل أبو على :

أبو على يعنى حسن : وهذا المثل يطلق على الشاطر حسن أحد زعماء قبيلة الهلالية ، وقد وصفنا أنه ذا خلق كريم - وعادل يطلق يتأنق فى ملبسه يلبس أحسن الثياب وأفخره يعطى ولا يأخذ يسير معجباً بنفسه - محباً للناس كما وأن الناس تحبه لحنانه ورأفته بالناس ضرب به المثل حيث كان الناس يعجبون به ، فكان كل من يلبس أحسن الثياب وأفخره ويعدل بين الناس يقولون عنه هو عامل أبو على أى أنه يتشبه بالشاطر حسن الذى اشتهر بالوداعة والأخلاق الكريمة والملابس الحسنة .

٣ - فلان زغبى :

أطلق هذا المثل على دياب ابن غانم لأنه من قبيلة زغب ، وكان دياب ابن غانم كما قلنا أنه كان غداراً وحقوداً يميل إلى سفك الدماء ، وقتل الأبرياء يحب

الحروب ويكره الأقوياء والأصحاء ، ولم يعرف للصداقة حقها ولا للقرابة أصولها إذ قتل أبو زيد الهلالى كما قتل الشاطر حسن بدون سبب ، ولكنه الحقد وسوء الأخلاق الذين اتصف بهما دياب ابن غانم ، ومن هنا قيل « هو أنت زغبى » أى غدار وحقودى وسفاك دماء وقاتل .

٤ – كأنك يا أبو زيد ما غزيت :

هذا المثل يشبه المثل العربى القديم « رجع بخفى حنين » وتفسير ذلك المثل :

إن أبا زيد قلنا من قبل كان بطلاً شجاعاً حارب ، وأنقذ المسجونين من قبل وكان الزناتي خليفة حاكم تونس قد سجنهم ، ويعد حرب بينه وبين أبو زيد وفك أسر المسجونين واستولى على الحكم ، وأصبح حاكما على تونس إلا أن حكمه لم يدم لأن دياب ابن غانم الغدار والسفاك دخل فى حرب مع أبو زيد – وانتصرت دياب على أبو زيد وقتله ، واستولى دياب على الحكم وضاع أمل أبو زيد ، وضاع ما كان يرجوه ، ومن هنا جاء المثل كأنك يا أبو زيد ما غزيت .

٦ – سكة أبو زيد كلها مسالك :

قلنا إن أبو زيد الهلالى كان بطلاً شجاعاً ويعرف كيف يتخلص مما يقف فى طريقه من عوائق وصعوبات مما سهل عليه انتصاراته الكثيرة فإذا وقف فى طريقه عائق اتخذ بعقله الراجح طريقاً آخر ، فكان ذلك سبباً فى نجاحه وسار المثل – سكة أبو زيد كلها مسالك .

وضرب مثل هذا المثل « ملاعب شيحه » [١] ، وكان هذا الرجل يتخذ الطرق المختلفة لكى ينفذ أغراضه .

ثم جاء نابليون القائد الفرنسى ، ويقول ليس هناك مستحيل أى هناك طرق أخرى إذا وقف فى طريقه صعوبات .

* * *

(١) شيحه كان فى عصر المماليك .

اللهجات العربية وأثر القبائل العربية

النطق بحرف القاف

لو أنك تحدثت مع بعض أهالى بلبيس فإنك تعجب إذا سمعت بعض الكلمات عند نطقها ، ويظهر ذلك جلياً إذا كانت الكلمة أحد حروفها حرف القاف فمثلاً كلمة يقول ، وقريب ، قليل :

ينطقها الرجل الكبير سنا	يقـــول ، قريب ، قليل
وينطــــقها الشـــــاب	يــــؤول ، أريب ، أليل
وينطـــقها الرجل العادى	يجول ، جريب ، جليل

هذا الاختلاف فى النطق يكون له أسباب منها :

١ – هجرة العرب إلى بلبيس منذ القرن الأول الهجرى ، وهم بلا شك ينطقون حرف القاف قا فتعود الكبار فى السن على التقليد ، ونظروا نظرة الاحترام فى النطق الصحيح .

٢ – أما الشباب فقلدوا هؤلاء الأجانب غير العرب ، والذى لا يتمسكون بقواعد اللغة العربية الصحيحة فنطقوا القاف الفا مثل قال : آل والسبب هجرة أنواع مختلفة من الأجانب واستقرارهم فيها من يهود ومسيحيين ، ثم الحروب التى عانت منها بلبيس فسكنها بعض الأسرى الأجانب ، ثم جاء عصر الحكم التركى والمماليك وغيرهما مما لا يمكنهم استعمال اللغة العربية الفصحى .

٣ – أما باقى السكان الذين ينطقون القاف جيما مثل يجول ، جريت جليل ، فهى معظم سكان القرى المجاورة لمدينة بلبيس ، وهم أبعد عن الدخول فى اللغة وقواعدها ، وإن كان الشباب قد أخذ قسطا من التعليم فبدأ يهجر نطق الجيم وأرى نطق الجيم يرجع إلى أهالى الصعيد حيث تراهم ينطقون القاف جيما .

* * *

الباب التاسع
الســــكان

بلبيس وتكوين السكان

١ – بدأت منطقة جوشن تظهر على المسرح السياسى منذ أن حفر سنوسرت القناة الموصلة بين النيل والبحر الأحمر وأخذت الأنظار تتجه إلى هذه المنطقة .

٢ – زادت الأهمية بعد حروب رمسيس الثانى مع الحيثيين ونقل عاصمة مصر إلى هذه المنطقة ، واتخاذ أواريش عاصمة لملكه .

٣ – بدء تدهور الأحوال المصرية منذ الأسرة العشرين والحادية والعشرين .

٤ – قيام الأسرة الثانية والعشرين ، وهذه الأسرة لم تكن مصرية الأصل ، وكانت لا تعبد معبودات مصر مثل رع أو آمون أو اتوم ، ولكن كانت لهم معبودات أخرى فاتخذت من القط « بس » المصرى والمعبود المصرى والميود الأجنبى ، وهو بعل وأصبح الكلمة بعل بس ثم أطلق على الكلمة بلبيس ، واتخذوا مكان بلبيس مركزاً لهم سياسياً كما اتخذوا تل بسطة مركزاً دينياً .

ويرى بعض المؤرخين أن المنطقة كلها كانت قد اتخذت بلبيس مركزاً إدارياً بينما كانت منطقة تل بسطة مركزاً دينياً ، وقالوا إن المسافة بينهما لم تكن تتعدى ثمانية ك م ، ومنذ هذا الوقت أصبحت كلمة جوشن فى زوايا التاريخ ، وبدأ ظهور المدن التابعة لبلبيس ، والتى تكلمنا عنها ، والتى قامت على أرض جوشن موضع الحديث بدلاً من كلمة جوشن وهكذا ظهرت مدينة بلبيس .

تكلمنا عن كيف نشأت بلبيس ، والآن نتكلم عن أهالى بلبيس هل هم منذ زمن طويل من جنس واحد – الحقيقة أنهم تكونوا من أجناس متعددة ، وأصبحوا يمتون بسبب اختلاطهم إلى فصيلة واحدة ، وإن تعددت دياناتهم .

أما أسباب كثرة جنسياتهم فهى :

١ – موقع بلبيس الاستراتيجى إذ كان مسرحاً لعمليات حربية كثيرة مما كان يدعو بعض الجنود لأن يقيموا فى بلبيس فيسكنون ويختلطوا بالأهالى اختلاط زواج فبمرور الزمن يصبحوا من أهل البلد .

٢ – وجود بلبيس على طريق القوافل مما كان يدعو بعض القائمين بعملية النقل إلى الإقامة فى بلبيس لمباشرة أعمالهم .

٣ – اليهود فى بلبيس : قلنا إن اليهود سكنوا فى منطقة جوشن ، وظلوا بها حوالى مائتين سنة ، وعند خروجهم من مصر بقى بعضهم واختلطوا بأهالى هذه المنطقة .

٤ – القبط : عندما انتشرت الديانة القبطية فى مصر سكن بعض الأقباط مدينة بلبيس ، وكان لهم كنائس بل كانت الكنيسة القبطية المقامة فى بلبيس من أهم الكنائس المصرية ، وخصوصاً بسبب مجئ سيدنا عيسى إلى بلدة غيبة ونومه ليلة فيها مما زادها بركة (١) .

كما أن اسم مدينة بلبيس ذكرت فى كتبهم .

وكذلك نرى ابنة المقوقس حاكم مصر اختار مدينة بلبيس كمصيف لابنته وبقيت بمصر حتى فتح العرب لمصر على يد سيدنا عمرو بن العاص رضى الله عنه .

٥ – المسلمون : لما فتح سيدنا عمرو بن العاص مصر مكث شهراً بها واستشهد بعض المسلمين فى الحرب ، فأقيمت لهم القبور ، ولا شك أن بعض المسلمين اختاروا هذه المنطقة سكناً لهم .

كما أن القبائل العربية التى هاجرت من بلاد العرب سكن الكثيرون منهم منطقة بلبيس ، وقد شرحنا ذلك فى الفصول السابقة .

ثم أخذ الإسلام ينتشر فى ربوع مصر ، وتحول الكثير من الأقباط واليهود عن دينهم ، ولم يجبرهم الإسلام على ترك دينهم عملا بالآية الكريمة « لا إكراه فى الدين » ، « ولكم دينكم ولى دين » .

وهكذا كان سكان بلبيس وأصبحوا يعيشون يداً واحدة ورجلاً واحداً يحبون بعضهم بعضاً .

* * *

---

(١) هذه المدن مختلف بها ويقدرها بعض المؤرخين بحوالى أربعمائة سنة ولا أرى سبباً للكلام عن هذه المدن بالتفصيل لأنها بعيدة عن موضوعنا .

القرية المصرية

هناك كلمات نسميها كثيراً وتعتقد أنها تدل على معنى المدينة أو القرية أو أى مجمع .

وسنذكر هذه الكلمات لنعطى القارئ فكرة كل منها :

١ - بلدة	٢ - ناحية
٣ - كفر	٤ - نجع
٥ - نزلة	٦ - أبعادية
٧ - عزبة	٨ - أوسية
٩ - منشأة	١٠ - كورة
١١ - حى	

وهذه الكلمات تدل على مجتمع من الناس يختلف عدد سكانه فقد يكون صغيراً ويطلق عليه عزبة ، وقد يكون عدد سكانه كبيراً ويسمى مدينة .

وقد يتحدد معنى كل منها بحسب الإدارة والسياسة والزمن ، وكانت البلاد مقسمة منذ عصر الفراعنة مقسمة إلى قرى ، ولكل قرية رئيس أشبه بالعمدة أو شيخ البلد ، وبقى هذا النظام حتى عصر محمد على ، ولكن الذى يرأسُ المشايخ هو العمدة ، والذى أصبح رئيس القرية وحاكمها وذلك منذ سنة (١٢٦٠هـ) [١] .

الكورة :

أما الكورة فهى كلمة مشتقة من الكلمة اليونانية كورا تعنى مقاطعة أو قرية ، وبقى الاسم اليونانى معروفاً فى مصر حتى الفتح الإسلامى فاحتفظ العرب بالتقسيم الرومانى ، والذى أخذ عن اليونانى من قبل .

وكان يرأس الكورة شخص يسمى صاحب الكورة أو حاكم الكورة ، وكانت مصر العليا ومصر السفلى مقسمة إلى عدة كورات أو عدة مناطق أو قرى [٢] .

---

(١) القاموس الجغرافى - تأليف محمد رمزى .

(٢) المختار من كتاب ولاة مصر وقضاتها الكندى - إبراهيم العدوى (ص ٥) .

ثم تغيرت الأسماء وسميت المنطقة باسم ولاية ، وفى ذلك يقول القلقشندى فى كتابه صبح الأعشى ما يأتى :

كانت بلبيس مقر والى الشرقية ذلك أن الوجه البحرى كان مقسما إلى أربع ولايات ، وهى الشرقية ومقر حاكمها بلبيس ووالى منوف والغربية ومقر حاكمها المحلة الكبرى . . . (١) .

وكان هذا التقسيم معمولاً به أيام الظاهر برقوق حوالى سنة (١٣٨٢م) .

* * *

أسماء المدن وأسباب تغييرها وعلاقة ذلك بمدينة بلبيس

يحدث أن يكون اسم مدينة ما معروفا فى زمن ما ، ولكن تراه وقد اعتراه بعض التغيير والتطوير فى زمن لاحق ، وحينئذ يقف الإنسان مندهشاً هل هو الاسم القديم أم تغير هذا الاسم : الحقيقة أن هذا التغيير يحدث لكثير من المدن وذلك لأسباب عدة أهمها :

١ - دخول غزاة جدد لدولة فيحدث بعض التغيير بما يلاءم لغة الدول الجديدة فمثلاً عندما فتح العرب مصر غيروا وحرفوا أسماء بعض المدن فمثلا أدخلوا حرف الألف على الاسم القديم للمدينة ، فكانت أسوان أصلها سوان ، ومدينة أسيوط كانت سيوط، فلما فتح العرب أدخلوا حرف الألف لسهولة النطق فى اللغة العربية .

٢ - قد يترجم اسم المدينة إلى لغة الدولة الحاكمة الجديدة .

٣ - أدخل اليونان كلمة الآله اليونانى بدلاً من الاله المصرى فمثلاً مدينة الفيوم سميت مدونيا الجديدة .

٤ - استعمال الاسم القديم بدلاً من الاسم المتغير فمثلاً كلمة سندهور كان قد غير إلى قرية مال الله ، ولكن صلاح الدين الأيوبى أرجع اسمها إلى سندهور.

٥ - كثرة تغيير الحكام يؤدى إلى كثرة تغيير اسم المدينة .

---

(١) صبح الأعشى (جزء ٤/ ص ٢٦ - ٢٨) .

٦ - هناك مدينة أضيف إلى اسمها اسم المعبود الخاص بهذه المدينة فمثلاً مدينة دمنهور كان اسمها تمى ان هور ثم نطقت دمى ان هور ثم أصبحت دمنهور وكذلك بلبيس [١] .

٧ - أسماء قديمة ولكن الاسم غير مقبول لدى النطق فحينئذ تحاول السلطة تغييره باسم أحسن حتى يلقى قبولاً لدى السامع ، فمثلاً قرية ميت جحيش تغير اسمها ، وكذلك اسم الزربية فتغير اسمها إلى بلد العدلية [٢] .

٨ - اختفاء مدينة لسبب زلزال أو بركان أو حريق ، وقد يترك الاسم بانتهاء المدينة أو يقام بجانبها مدينة أخرى جديدة باسم جديد .

٩ - إعطاء المدينة وخاصة إذا كانت حديثة النشأة اسم أحد الحكام أو رجال الدولة أو باسم حادث مهم ، فمثلاً مدينة السادات ، وكذلك مدينة ٦ أكتوبر ، وستالنجراد .

لماذا تبقى مدينة على ما هى ، بينما تخرب مدينة ، هناك أسباب عدة أهمها :

١ - انقطاع المياه وخصوصاً مياه الرى أو غرق البلدة نتيجة فيضان أو قطع الجسور .

٢ - أكل النهر .

٣ - وجود القرية فى أرض سفلية (واطئة) فلا تصلح للسكنى .

٤ - تسلط عوامل التعرية كالرمال .

٥ - ارتفاع القرية فى جهة جبلية فلا يكون بها زرع .

٦ - الحرائق والأوبئة التى قد تفتك بأهالى البلدة ، وهذا ما حدث لمصر فى القرن الرابع عشر أيام الملك الناصر إذ مات ما يقرب من ربع سكان مصر .

٧ - الظلم والمنازعات والسخرة تؤدى إلى هجرة الأهالى من بلدتهم .

٨ - العادات والعرف فهناك تقاليد تقضى بأنه إذا حدث حادث مهم كالموت ، وأن أهل القرية يتركونها إلى منطقة أخرى .

---

(١) انظر : كلمة بلبيس فى الفصل الخاص بها .

(٢) العدلية : بلدة تبع مركز بلبيس شرقية .

٩ - اتصال مبانى قرية بقرية أخرى فتلتحم القريتان ببعضهما ويصبحان بلداً واحد مثل كفر سليمان غالى .

١٠ - هدم وحرق مدينة ومثل ذلك ما حدث أيام النزاع الذى قام بين كل من شاور وضرغام أيام الدولة الفاطمية .

* * *

بلبيس والتقسيم الإدارى فى عهد محمد على

قلنا فيما سبق أن بلبيس كانت منذ الأزمنة القديمة عاصمة ولاية الحوف الشرقى (منطقة جوشن) ، وبقيت عاصمة حتى جاء محمد على فأدخل بعض التعديلات الإدارية والتى كانت من ضمنها بلبيس بقيت بلبيس عاصمة الشرقية حتى سنة (١٨٣٨ هـ / ١٨٤٩م) .

ولكنه قام بالإصلاح الإدارى للوجه البحرى كالآتى :

١ - القليوبية وعاصمتها قليوب .

٢ - الدقهلية وعاصمتها المنصورة .

٣ - المنوفية وعاصمتها منوف .

٤ - الشرقية وعاصمتها بلبيس .

٥ - الغربية وعاصمتها المحلة الكبرى .

٦ - البحرية وعاصمتها دمنهور .

٧ - الجيزة وعاصمتها الجيزة .

إلا أنه حدث تغيير إدارى آخر ذلك أن محمد على وجد أن المدن قد اتسعت واحتاج إلى تسهيل الانتقال بين الناس والموظفين فعمد إلى تقسيم آخر :

١ - قسم القليوبية إلى قسمين : ١ - قليوب ، ٢ - بنها .

٢ - قسم الشرقية إلى قسمين :

١ - قسم يشمل أبو كبير والصوالح .

٢ - قسم يشمل بلبيس وشيبة والتكارية والعزيزية .

ثم حدث إصلاح آخر إذا أصبحت الزقازيق هى عاصمة الشرقية بدلاً من بلبيس لتوسط موقع الزقازيق للمديرية ، وأصبحت بلبيس مركزاً تابعاً للزقازيق ، ومنذ ذلك الوقت والزقازيق هى عاصمة الشرقية .

إلا أن جعل بلبيس مركزاً بدلاً من العاصمة لم يفقد عناية محمد على لها إذ نالت رعايته إذ قام بزيارة لهذه المنطقة فوجد أراض شاسعة صالحة للزراعة لكنها كانت متروكة فأمر بتهجير بعض الذين ليس لهم عمل أو أرض إلى هذه الجهة ، وأمر بإقامة السواقى والمساكن للفلاحين الجدد ، وأدخل زراعة أشجار التوت ، وأحضر المتخصصين فى هذه الزراعة من الشام ، وأمر بزرع شجر الزيتون لاستخراج الزيت لعمل الصابون ، وهكذا تقدمت بلبيس وزادت خيراتها [1] .

* * *

تعداد بلبيس والقرى التابعة

كان أول تعداد رسمى لمصر هو تعداد سنة (١٨٨٢) .

كانت محافظة الشرقية (مديرية الشرقية) تتكون من سبعة مراكز وهى:

١ - بندر الزقازيق	٢ - مركز الزقازيق	٣ - بلبيس
٤ - فاقوس	٥ - كفر صقر	
٦ - منيا القمح	٧ - هيها [٢] :	

ولكن فى تعداد سنة (١٩٤٧م) تغير الحال فأصبحت مديرية الشرقية تتكون من تسع مراكز :

١ - بندر الزقازيق	٢ - مركز الزقازيق	٣- أبو حماد
٤ - الحسينية	٥ - بلبيس	٦ - فاقوس
٧ - كفر صقر	٨ - منيا القمح	٩ - هيها .

أما تعداد سنة (١٩٦٠) فإن المديرية احتوت إحدى عشرة مراكز إذا زاد وأصبح أبو كبير وديرب نجم مركزين .

---

(١) انظر : الجبرتى (جزء ٤/ ص ٢٥٦) .   (٢) انظر : التعداد فى الجدول .

كانت بلبيس من المدن الهامة أيام نابليون وقد دخلت الإحصاء الذى عمل لمعرفة سكان المدن المهمة [1] .

القاهرة	٢٦٣,٠٠٠	طنطا	١٠٠٠٠
الإسكندرية	٨٠٠٠	الفيوم	٥٠٠٠
رشيد	١٠٣٠٠٠	أطفيح	٤٠٠٠
دمياط	٢٠,٠٠٠	أسيوط	١٢٠٠٠
المحلة	١٧,٥٠٠	جرجا	٧٠٠٠
سمنود	٥٠٠٠	بنى سويف	٥٠٠٠
المنصورة	٧٥٠٠	الجيزة	٣٠٠٠
قليوب	٤٥٠٠	قنا	٥٠٠٠
بلبيس	٣٠٠٠٠	أدفو	٢٠٠٠
منوف	٤٠٠٠٠		

١ - عدد المسلمين ٦٨٥٢٠ = ٣٥٣٥٣ ذكور

٣٣١٩٧ إناث

عدد المسيحيين ٥٨٠ = ٣٢٣ ذكور

٢٥٧ إناث

عدد اليهود ٩ = ٢ ذكور

٧ إناث

المجموع ٦٩١١٢

٢ - مجموع مركز بلبيس ٣٥١٥٩٠

(١) تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم الجزء الأول تأليف عبد الرحمن الرافعى.

٣ - عدد الطلبة لمدينة بلبيس ١٦٢٨٠ = ٩٤٢٨ ذكور

٦٨٥٢ إناث

عدد الطلبة لمركز بلبيس وقراها ٥٩٢٩٠ = ٤٠٢٩٧ ذكور

١٨٩٩٣ إناث (١)

١ - إبراش	= ٢٦٦٩	١٨ - الكتيبة	= ٣٩٦٩
٢ - العنبة	= ٢٠٧١	١٩ - الكفر القديم	= ٣٥٣٦
٣ - البلاشون	= ١٠١٠١	٢٠ - المناصرة	= ١٤٨٥
٤ - الحوسق	= ٤٩٠٨	٢١ - المنشية	= ١٦٨٢
٥ - الحون	= ٢٠٨٩	٢٢ - المنير	= ٩٩٤٠
٦ - الروضة	= ١٥٤٢	٢٣ - إنشاص الرمل	= ١٤٨٠٠
٧ - الزوامل	= ١٢٤٩٩	٢٤ - أولاد سيف	= ٥٣١٩
٨ - السعادات	= ٤٩٥٠	٢٥ - أولاد مهنا	= ٤٤٣٠
٩ - السعدون	= ٣٦٧٤	٢٦ - البساتين بركان	= ١١٧٥٣
١٠ - السلام	= ٧٠٤٤	٢٧ - بساتين سراج الدين	= ١٤٩٠
١١ - الشغامبه	= ٢٧٣٦	٢٨ - بنى صالح	= ٢٦٢٨
١٢ - الشولبه	= ١٥١٢	٢٩ - بير عمارة	= ٣١٩٥
١٣ - الصحافة	= ٣٢٤٢	٣٠ - تل روزن	= ٣٠١٤
١٤ - الطحاوية	= ٣٦٠	٣١ - حقنا	= ٦٠٤١
١٥ - العيس	= ١٣٩٨	٣٢ - دهمشا	= ٥٨٨٨
١٦ - العدلية	= ٨٧٨٠	٣٣ - سلمنت	= ٥١٦٢
١٧ - الغفارية	= ٣١٩٨	٣٤ - سندهور	= ٥٢٨٦

---

(١) الجهاز المركزى للتعبئة والإحصاء التعداد العام للسكان والإسكان سنة (١٩٧٦م) محافظة الشرقية - مرجع رقم (٩٣ ص ١١١ - ١٥/١٩٧٨م) .

٣٥ - شبرا النخلة	= ١١٨٧١
٣٦ - غيته	= ٥٨٩٣
٣٧ - قرملة	= ٣٥٩١
٣٨ - قسيا	= ٢١٢٥
٣٩ - كفر الجبلة	= ١٠٩٢
٤٠ - كفر ابراش	= ١٠٠٤٠
٤١ - كفر أبرهم العابد	= ٢٣٠٣
٤٢ - كفر اكباد	= ٢١١٠
٤٣ - كفر السلاوى	= ٣٣٨
٤٤ - كفر الشرابية	= ١٦٩٩
٤٥ - كفر العرب	= ١٥٢٣
٤٦ - كفر أبو سليمان	= ٤٠٥٥
٤٧ - كفر بنى عليم	= ١٧٨٥
٤٨ - كفر حفيا	= ١٦٩٣
٤٩ - كفر دهمشا	= ٨٥٥
٥٠ - كفر عبود حجازى	= ٦٥٥
٥١ - كفر يوسف شحاته	= ٥٦٥
٥٢ - مدينة مشتول السوق	
٥٣ - سلمنت	= ٢٥٩٦
٥٤ - منية سنتا	= ٢٨٨١
٥٥ - ميت جابر	= ٥٦٦٣
٥٦ - ميت حلبيت	= ٢١٤٣
٥٧ - ميت حمل	= ٧٣٩٣
٥٨ - ميت ربيعة البيضا	= ٤٠٩٥
٥٩ - ميت فعلا	= ٢٤٦٣
٦٠ - نبتيت	= ٤٧٥٠
٦١ - نوبة والدهسانة	= ٥٨٥٥
	٣٥١٥٩

* * *

الباب العاشر

مختارات من آراء المؤرخين عن بلبيس

مختارات من آراء المؤرخين عن بلبيس

بلبيس : هى بفتح الباء وكسرها كما فى كتاب مراصد الإطلاع ، وفى خطط المقريزى عن أبى عبيد البكرى أنها بفتح الموحدتين بينهما لام ساكنة وهو موضع قريب من مصر اهـ .

ولكن الذى فى القاموس أنها مضمومة الأول ، وقد يفتح فإنه قال بلبيس كغرنيق ، وقد يفتح أوله بلدة بمصر انتهى .

وقال النابلسى بعد أن حكى الضم ، ويقال بيس بحذف الباء الأولى واللام اسم امرأة من الملوك نزلت هناك فسميت بها فيكون بل بفتح الباء حرف إضراب انتهى .

وكانت تسمى قديماً فبلبيس أو فلابيس وهى مدينة أشهر بلاد الشرقية خصوصاً فى الأعصر الماضية ، وكانت قاعدة خط الحوف وكرسيه ، ومحل إقامة حاكمه وفيها مقدار عظيم من النخيل والأشجار بوسطها خليج مقتطع من النيل وقت فيضانه يسمى بحر أبى المنجى يروى جميع أرض الخط ، وقال المقريزى : أنها سميت فى التوراة أرض حاشان ، وفيها نزل يعقوب لما قدم على ابنه يوسف عليهما السلام فأنزله بأرض حاشان ، وهى بلبيس إلى العلاقمة من أجل مواشيهم.

وقال ابن سعيدان واليها يصل حكمه إلى الواردة التى هى آخر حد مصر وإليها تنتهى المعاملة بفضة السواد ، والناس يتعاملون بالفلوس بعدها إلى العريش ، وهى أول الشام ، وقيل هى آخر مصر ، وذكر ابن خرداذيه فى كتاب المسالك والممالك إن بين بلبيس وقسطاط مصر أربعة وعشرين ميلا وذكر الواقدى المقوقس زوج ابنته ارمانوسة من قسطنطين بن هرقل وجهزها بأموالها وجواريها وغلمانها وحشمها لتسير إليه حتى يبقى بها فى مدينة قيسارية وهم محاصرون بها فخرجت إلى بلبيس، وأقامت بها وبعثت حاجبها الكبير فى ألفى فارس إلى الفرما ليحفظ

الطريق ولا يدع أحداً من الروم ولا غيرهم يعبر إلى مصر ، وبعث المقوقس رسله إلى أطراف بلاده مما يلى الشام أن لا يتركوا أحد يدخل أرض مصر مخافة أن يتحدثوا بغلبة المسلمين على الشام فيدخل الرعب فى قلوب عساكره فلما قدم عمر ابن الخطاب الحابية ، وسار عمرو بن العاص إلى مصر نزل على بلبيس ، وبها أرمانوسة بنت المقوقس فقاتل من بها ، وقتل منهم زهاء ألف فارس وأسر ثلاثة آلاف وانهزم من بقى إلى المقوقس وأخذت أرمانوسة وجميع مالها وسائر ما كان للقبط فى بلبيس فأحب عمرو ملاطفة المقوقس فسير إليه ابنته ارمانوسة مكرمة فى جميع مالها مع قيس بن أبى العاص السهمى ، فسر بقدومها ثم سار عمرو إلى القصر ، ولم تزل من مدائن مصر الكبار حتى نزل مرى ملك الأفرنج فأخذها عنوة بعد حصار طويل ، وقتل منها آلافاً ولها أخبار كثيرة ، وقد خرجت منذ عهد الحوادث بديار مصر بعد سنة (٨٠٦ هـ) بعد ما أدركاها بها عمارة كثيرة ، وفيها عدة بساتين وأهلها أصحاب يسار ونعم سنية .

وقال المقريزى : أيضاً أن ناصر الدين العباسى أنشأ بها مدرسة عظيمة قال وفى زمننا قد تهدمت .

وقال ابن حوقل : بين الفسطاط والرملة إحدى عشرة مرحلة ونصف موزعة هكذا من رملة إلى لبنا نصف مرحلة ، وإلى أردود مرحلة، وإلى غزة مرحلة ، وإلى الرفيج مرحلة ، وإلى العريش مرحلة ، وإلى واردة مرحلة ، وإلى البكارة مرحلة، وإلى الفرما مرحلة ، وإلى جرجير مرحلة ، وإلى فاقوس مرحلة ، وإلى بلبيس مرحلة ، وإلى الفسطاط مرحلة وبعضهم جعل المرحلة ثلاثين ميلا وبعضهم جعلها أربعة وعشرين ميلا ، وبعض الجغرافيين جعل بين بلبيس والفسطاط عشرة فراسخ .

وفى كتاب كترمير نقلا عن بعض من كتب على بلبيس أن بين القاهرة ، وبلبيس أربع عشرة ساعة وأهلها نحو خمسين ألف نفس وبقربها يجرى نهر ذمكلاوة .

وذكر المقريزى وغيره أن بقر بها قرية تسمى حيفة على نحو يومين من الفسطاط كانت محطة للقوافل القاصدة مكة وبئر تعرف ببئر بيدا .

وفى تاريخ بطارقة الإسكندرية أن بقرب بلبيس تلاً مرتفعاً وقريتين إحداهما تسمى سامة ، والأخرى تسمى جرابى يسكنهما العرب .

وقال حسن بن إبراهيم أن أرض فاقوس تمتد من جرابى إلى الصالحية وكانت بلبيس فى مبدأ الأمر أسقفية مستقلة كأسقفية المنصورة ، ثم ألحقت بأسقفية دمياط ، وقد غلط من قال إن بلبيس محل مدينة بيلوزة أو محل مدينة كانت تسمى فربيط ، وإنما كانت في بعض الأزمان من خط فربيط بدليل أن المقريزى في تعداده لبلاد مصر ذكر أن في خط فربيط خمس عشرة قرية غير الكفور ، ومن ضمنها بلبيس ، وقال إن فربيط وفاقوس وبسطة وسرير وغيرها قد أعطيت إقطاعات للعرب الذين فتحت مصر على أيديهم وفربيط هى هو بيط وفى زمن النصرانية كانت كرسى إقليم فربطوس .

وفى خطط المقريزى أيضاً أن قرية سدير بمديرية شرقية ، وكانت من ضمن خط ترابية الذى سماه بطليموس خط العرب الذى عدد قراه (٢٨) منها سدير والحماة وفاقوس ، وكانت سدير فى رأس وادى طوميلات .

وفى كتاب السلوك للمقريزى أن الملك الظاهر بيبرس العلائى البندقدارى بنى بها قرية سماها بالظاهرية وطوميلات الذى اشتهر به هذا الوادى علم على قبيلة من قبائل العرب ، وقد تكلم حسن بن إبراهيم على قرية تسمى الكراع بقرب قرية العباسة وقرية سدير .

وقال أبو صلاح أن خليج القاهرة ينتهى إلى سدير هذه بالقرب من العباسة ، وهى قرية من مديرية الشرقية ، وكانت عليه قنطرة من هناك كان ينقل القمح فى البر وتشحن به المراكب ويوجه إلى مكة والحجاز .

وقال ابن الوردى : أن أهل القلزم كانوا يستقون الماء من بئر سدير الواقعة فى وسط الرمل .

وفى خطط المقريزى عن لبن المأمون أن بلاد الشرقية كان لا يصل إليها الماء إلا من الزدوسى من الصماصم ، ومن المواضع البعيدة فكان أكثرها يشرق فى أكثر السنين فتضرر المزارعون إلى أبى المنجى اليهودى ، وكان مشارفاً لأعمال تلك الجهات وسألوه فى فتح ترعة يصل الماء منها فى ابتدائه إليهم فابتدأ فى حفر الخليج أبى المنجى فى الثلاثاء ثالث شعبان سنة ست وخمسمائة ، وقبل الشروع فى حفره ركب الأفضل بن أمير الجيوش ضحى وصحبته القائد أبو عبد الله البطائحى ، وجميع إخوته والعساكر تحاذيه فى البر وجمعت شيوخ البلدان

وأولادهم وركبوا فى البحر ومعهم حزم البوصل فسيروها فى البحر وتبعوها فى المراكب إلى أن رماها الموج إلى الموضع الذى حفر واقية فى الخليج ، وأقام الحفر فيه سنتين ، وكل سنة تتبين الفائدة فيه ويتضاعف من ارتفاع البلاد وخصوبتها ما يهون الغرامة عليه ، ولما عرض عليه الأفضل جملة ما أنفق فيه استعظمه ، وقال غرمنا هذا المال جميعه والاسم لأبى المنجى فغير ودعى بالبحر الأفضلى فلم يتم ذلك ، ولم يعرف الأيابى المنجى ثم جرت بين أبى المنجى ، وأبى الليث صاحب الديوان بسبب ابنتى خطوب أدت إلى سجن أبى المنجى عدة سنين ثم نفى إلى الإسكندرية بعد أن كادت نفسه تتلف ، ولما طال اعتقاله بالإسكندرية فى مكان بمفرده مضيقا عليه تحيل بكتب مصحف بخطه ، ووضع عليه اسمه وبعث به إلى السوق ليبيعه فبلغ الأمر الخليفة فأحضره ، وقال له ما حملك على هذا ، قال طلب الخلاص بالقتل فأدب وخلى سبيله .

وفى خلافة الآمر بأحكام الله جعل لفتحه يوما كيوم فتح خليج القاهرة ، وأمر ببناء قنطرة متسعة تكون من بحرى السد ، وما زال يوم فتح هذا البحر يوما مشهودا إلى أن زالت الدولة الفاطمية ، فلما استولى بنو أيوب من بعدهم أجروا الحال فيه على ما كان عليه ، وكان يركب له السلطان ، ولما لم يركب إليه الملك العزيز عثمان بن السلطان صلاح الدين بنفسه ركب إليه أخوه مشرف الدين يعقوب الطواشى ، وبدت فى هذا اليوم من مخايل القبط وخمورهم ومنكراتهم ما لا مزيد عليه ، واختلطت النساء بالرجال ، ولما رفع الأمر إلى السلطان أرسل حاجبه ففرق منهم من وجده ثم عادوا بعد عوده .

وفى سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة باشر العزيز كسره وزاد النيل فيه أصبعا ، وهى الأصبع الثامن عشر من ثمانية عشر ذراعاً وهذا الحد يسمى عند أهل مصر اللجة الكبرى قال ، وقد تلاشى فى زمننا الاجتماع فى يوم فتح سد أبى المنجى، وقبل الاحتفال به لشغل الناس بهم المعيشة .

وفى المقريزى أيضاً أن فى سنة (٧٣١) أمر السلطان محمد بن قلاوون بعمل جسر شيبين ، وسنهود ذلك أن مديرية الشرقية كان لها جملة جسور فى طول بحر أبى المنجى ، وكان خط شيبين ومرصفا ونحوهما فى غالب السنين لا يتم ريها بسبب علو أرضها فاشتكى الأمير بشتك من تشريق أغلب أراضيه فركب

السلطان من القلعة ، ومعه جملة مهندسين وذهب يكشف الحال بنفسه ، وكان له معرفة بالعمارات ورأى سديد فلما عاين الأراضى أمر يعمل جسر أوله شيبين القصر وآخره بنها العسل ، وجمع لذلك اثنى عشر ألف ومائتى عربة فعمله ، وعمل به قناطر فعند فتح قنال أبى المنجى تمتلئ الحيضان ، ويمنعها الجسر فترتفع المياه حتى تروى الأراضى العالية .

وقال كثر ميران خليج أبى المنجى هو بحر الطينة بدليل أن بحر الطينة المذكور على رأى هيرودوط وديودور الصقلى واسترابون وبطليموس كان أحد الخلجان الثلاثة المجتمعة فى محل افتراق النيل ، وكان الضلع الثالث من المثلث فى جهة الشرق وبسبب أن النيل يجلب من وقت الفيضان كثيراً من الطمى ، وميله إلى الغرب أكثر من ميله إلى الشرق حصل مع الزمن ردم فمه ، والظهر أن هذا كان هو السبب فى تشكى أهل الشرقية ، ولعل أبا المنجى طهره أو عدله ويدل لذلك أيضاً قول خليل الظاهرى أن خليج أبى المنجى يصب فى البحر .

وما ذكرناه من أن النيل يميل عن جهة الشرق إلى جهة الغرب لا شبهة فيه بدليل ما ذكره المقريزى فى تخطيط موضع الفسطاط أن قصر الشمع كان مطلاً على النيل والمراكب ترسو على بابه الغربى المعروف بباب الحديد .

ولما استولى المسلمون على الحصن ركب المقوقس المراكب من بابه الغربى وعدى إلى جزيرة الروضة المواجهة له ، وكان للنيل مقياس فى أحد زوايا القصر ، وكان موجوداً إلى سنة عشرين وثمانمائة انتهى .

والظاهر أن بحر أبى المنجى محل الفرع الذى كان يصل إلى مدينة بيلوزة (الطينة) ويصب فى البحر المالح حيث تزحزح النيل كثيراً من المشرق إلى المغرب .

وقال كترمير أيضاً فى الكلام على السلطان قلاوون أنه بعد انقضاء الحروب سنة خمسمائة واثنتين وثمانين من الهجرة اشتغل السلطان بأمر البلاد ، وكانت مديرية البحيرة قد خربت عن آخرها وأملحت أرضها وأصبحت سهولاً ترعى فيها العرب بعد أن كانت فى غاية من العمارية ، وكانت أرضها أخصب الأراضى ، وقد ذكر له بعض جلسائه أن خراب تلك البلاد ومحل أرضها سببه قلة الماء بها ، وأن هناك خليجاً قديماً فى محل يعرف بالطبرية ردمته الرمال ، ولو حصلت الهمة فى حفره عادت إليها عمايتها وخصوبة أرضها لكن يلزم له كثرة الرجال والشغالين ليتم

حفره قبل مجئ النيل عليه لأنه إذا حفر بعضه وبقى البعض ردم النيل ما حفر وليس فى أهل تلك المديرية كفاية لذلك فصغى السلطان لقوله ووقع منه موقع القبول ، وكتب فى الحال لحكام كافة المديريات البحرية بجمع الأنفار والأبقار ووعد بأنه يحضر فى العمل بنفسه وجيشه للمساعدة ، وبعد قليل سار إليه مع أولاده والملك المنصور أمير حماة وأمراء البلد والعساكر ، وكان قيامه فى الخامس من المحرم ووصوله إلى محل العمل فى الثامن منه ، وقسم الخليج على الأمراء ، وجعل لنفسه قسما معهم فاجتهد كل منهم فى حصته بخدمه ومماليكه وجلبوا رجالاً بالأجرة وتنافسوا للتقدم وكان السلطان يطوف بنفسه ، ويقف عند كل قسم ويشجعهم بالهدايا والعطايا ، ويطعم رجال قسمه ومن زيادة اهتمامه بتنجيز العمل اشتغل معهم بنفسه وأولاده ومماليكه حتى حمل قفة التراب على كتفه وكانوا لأجل النشاط يستعملون فى كل قسم آلات الطرب كالموزيكات والمغانى وغيرها فتم العمل فى عشرة أيام ، فكان خليجاً طوله ستة آلاف قصبة وعرضه من ثلاث قصبات إلى أربع أو أكثر على حسب ارتفاع الأرض وانخفاضها ، وفى اليوم الحادى والعشرين من المحرم قام السلطان بعساكره وحصل لبلاد البحيرة من الفوائد بسبب هذا العمل الناجح ما لا يحصى وأخصبت أرضها بعد محلها الذى سببه حرمانها من ماء النيل وحدثت فى تلك الجهات بلاد كثيرة بسبب ذلك .

وفى خطط المقريزى أيضاً فى باب نزول العرب بريف مصر ما نصه قال الكندى: وفى ولاية الوليد بن رفاعة الفهمى على مصر نقلت قيس إلى مصر فى سنة تسع ومائة ، ولم يكن بها أحد منهم قبل ذلك إلا ما كان من فهم وعدوان فوفد ابن الحبحاب على هشام بن عبد الملك فسأله أن ينقل منهم أبياتاً فأذن له فى إلحاق ثلاثة آلاف منهم ، وتحويل ديوانهم إلى مصر على أن لا ينزلهم بالفسطاط فعرض لهم ابن الحبحاب ، وقدم بهم فأنزلهم الحوف الشرقى وفرقهم فيه .

ويقال عبيد الله بن الحبحاب لما ولاه هشام بن عبد الملك مصر قال ما أرى لقيس فيها حظا إلا لناس من جديلة ، وهم فهم وعدوان فكتب إلى هشام أن أمير المؤمنين أطال الله بقاءه قد شرف هذا الحى من قيس ونعممهم ، ورفع من ذكرهم ، وأنى قدمت مصر ولم أر لهم حظا إلا أبياتاً من فهم وفيها كورة ليس فيها أحد ، وليس يضر بأهلها نزولهم معهم ، ولا يكسر ذلك خراجا ، وهى

بلبيس فإن رأى أمير المؤمنين أن ينزلها هذا الحى من قيس فليفعل فكتب إليه هشام أنت وذاك فبعث إلى البادية فقدم عليه مائة أهل بيت من نضر ومائه أهل بيت من بنى سليم فأنزلهم بلبيس وأمرهم بالوقوع ونظر إلى الصدقة من العشور فصرفها إليهم فاشتروا إبلا فكانوا يحملون الطعام إلى القلزم ، وكان الرجل يصيب فى الشهر العشرة دنانير وأكثر ثم أمرهم بشراء الخيول فجعل الرجل يشترى المهر فلا يمكث إلا شهراً حتى يركب ، وليس عليهم مؤنة فى علف إبلهم ولا خيلهم لجودة مرعاهم فلما بلغ ذلك عامة قومهم تحملوا إليهم فوصل إليهم خمسمائة أهل بيت من البادية فكانوا على مثل ذلك فأقاموا سنة فأتاهم نحو من خمسمائة أهل بيت فصار ببلبيس ألف وخمسمائة أهل بيت من قيس حتى إذا كان زمن مروان بن محمد ، وولى الحوثرة بن سهيل الباهلى مصر مالت إليه قيس فمات مروان وبها ثلاثة آلاف أهل بيت ثم توالدوا وقدم عليهم من البادية من قدم .

وفى سنة ثمان وسبعين ومائة كشف إسحاق بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس أمير مصر أمر الخراج وزاد على المزارعين زيادة أجحفت بهم فخرج عليه أهل الحوف ، وعسكروا فبعث إليهم الجيوش وحار بهم فقتل من الجيش جماعة فكتب إلى أمير المؤمنين هارون الرشيد يخبره بذلك فعقد لهرثمة بن أعين فى جيش عظيم وبعث به إلى مصر فنزل الحوف وتلقاه أهله بالطاعة وأذعنوا بأداء الخراج فقبل هرثمة منهم واستخرج خراجه كله ثم إن أهل الحوف خرجوا على الليث بن الفضل البيودى أمير مصر ، وذلك أنه بعث بمساحين يمسحون عليهم أراضى زرعهم فانتقصوا من القصبة أصابع فتظلم الناس إلى الليث ، فلم يسمع منهم فعسكروا وساروا إلى الفسطاط فخرج عليهم الليث فى أربعة آلاف من جند مصر فى شعبان سنة ست وثمانين ومائة فالتقى معهم فى رمضان فانهزم عنه الجند فى ثانى عشرة وبقى فى نحو المائتين فحمل بمن معه على أهل الحوف فهزمهم حتى بلغ بهم غيفة [1] وكان التقاؤهم على أرض جب عميرة ، وبعث الليث إلى الفسطاط بثمانين رأسا من رؤوس القيسية ، ورجع إلى الفسطاط وعاد أهل الحوف إلى منازلهم ، ومنعوا الخراج فخرج الليث إلى أمير المؤمنين هارون الرشيد فى المحرم سنة سبع وثمانين ومائة وسأله أن يبعث معه بالجيوش فإنه لا يقدر على

---

(١) غيفة هى غيتة الآن .

استخراج الخراج من أهل الحوف إلا بجيش يبعث معه ، وكان محفوظ بن سليم بباب الرشيد فرفع محفوظ إلى الرشيد يضمن له خراج مصر عن آخره بلا سوط ولا عصى فولاه الخراج ، وصرف ليث بن الفضل عن صلات مصر وخراجها .

وفى ولاية الحسين بن جميل امتنع أهـل الحوف من أداء الخـراج فبعث أمير المؤمنين هارون الرشيد يحيى بن معاذ فى أمرهم فنزل بلبيس فى شوال سنة إحدى وتسعين ومائة ، وصرف الحسين بن جميل عن إمارة مصر فى شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وتسعين ومائة وولى مالك بن دلهم وفرغ يحيى بن معاذ من أمر الحوف ، وقدم الفسطاط فى جمادى الآخرة فورد عليه كتاب الرشيد يأمره بالخروج إليه فكتب إلى أهل الحوف أن اقدموا حتى أوصى بكم مالك بن دلهم ، وأدخل بينكم وبينه فى أمر خراجكم فدخل كل رئيس منهم من اليمانية والقيسية ، وقد أعد لهم القيود فأمر بالأبواب فأخذت ثم دعا بالحديد فقيدهم وتوجه بهم فى النصف من رجب منها .

وفى إمارة عيسى بن يزيد الجلودى على مصر ظلم صالح بن شيرزاد عامل الخراج الناس وزاد عليهم فى خراجهم فانتقض أهل أسفل الأرض وعسكروا فبعث عيسى بابنه محمد فى جيش لقتالهم فنزل بلبيس ، وحاربهم بنفسه ، وذلك فى صفر سنة أربع عشر ومائتين فعزل عيسى عن مصر وولى عمير بن الوليد التميمى ، فاستعد لحرب أهل الحوف وصار فى جيوشه فى ربيع الآخر فزحفوا عليه واقتتلوا فقتل من أهل الحوف جمع وانهزموا فتبعهم عمير فى طائفة من أصحابه فعطف عليه كمين لأهل الحوف فقتلوه لست عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر فولى عيسى الجلودى ثانيا ، وسار إليهم فلقيهم بمنية مطر فكانت بينهم وقعة آلت إلى أن انهزم منهم إلى الفسطاط ، وأحرق ما ثقل عليه من رحله وخندق على الفسطاط ، وذلك فى رجب وقدم أبو إسحاق بن الرشيد من العراق فنزل الحوف وأرسل إلى أهله فامتنعوا من طاعته فقاتلهم فى شعبان ودخل وقد ظفر بعدة من وجوههم إلى الفسطاط فى شوال ثم عاد إلى العراق فى المحرم سنة خمس عشرة ومائتين بجمع من الأسارى .

فلما كان فى جمادى الأولى سنة ست عشرة ومائتين انتقض أسفل الأرض بأسره عرب البلاد وقبطها ، وأخرجوا العمال ، وخلعوا الطاعة لسوء سيرة عمال

السلطان فيهم فكانت بينهم وبين عساكر الفسطاط حروب امتدت إلى أن قدم الخليفة عبد الله أمير المؤمنين المأمون إلى مصر لعشر خلون من المحرم سنة سبع عشرة ومائتين فسخط على عيسى بن منصور الرافقى ، وكان على إمارة مصر وأمر بحل لوائه وأخذه بلباس البياض عقوبة له ، وقال لم يكن هذا الحدث إلا عن فعلك وفعل عمالك حملتم الناس ما لا يطيقون وكتمتنى الخبر العظيم حتى تفاقم الأمر واضطرب البلد .

وفى سنة ست وثمانين وثلثمائة توفى بمدينة بلبيس الملك العزيز بالله أبو النصر نزار بن المعز لدين الله أبى تميم معد فى الثامن والعشرين من شهر رمضان من مرض طويل بالقولنج فحمل إلى القاهرة ودفن بتربة القصر مع آبائه ، وعمره اثنتان وأربعون سنة وثمانية أشهر وأربعة عشر يوما ، وكانت مدة خلافته بعد أبيه إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر ونصف وبعد موته بويع بالخلافة فى هذه المدينة أيضاً ابنه الحاكم بأمر الله ، وكان ذلك بعد الظهر من يوم الثلاثاء العشرين من رمضان وسار إلى القاهرة فى يوم الأربعاء بسائر أهل الدولة والعزيز فى قبة على ناقلة بين يديه ودخل القصر قبل صلاة المغرب وأخذ فى جهاز أبيه .

وفى سنة أربع وخمسين وخمسمائة بنى الملك الصالح طلائع بن رزيك على بلبيس حصنا من لبن .

وفى سنة أربع وستين وخمسمائة تمكن الإفرنج من ديار مصر وحكموا فى القاهرة وركبوا المسلمين بالأذى العظيم وتيقنوا أنه لا حامى للبلاد من أجل ضعف الدولة ، وانكشفت لهم عورات الناس فجمع مرى ملك الإفرنج بالساحل جموعا واستجد قوماً قوى بهم عساكره ، وسار إلى القاهرة من بلبيس بعد أن أخذها وقتل كثيراً من أهلها .

وفى سنة تسع وثمانين وخمسمائة مات صلاح الدين وتولى ابنه السلطان الملك العزيز عماد الدين أبو الفتح عثمان ، وقد كان ينوب عن والده بمصر وهو مقيم بدار الوزارة من القاهرة فحصل بينه وبين أخيه الأفضل فشل أوجب سيره من مصر لمحاربته ، وحصره بدمشق فدخل بينهما العادل أبو بكر حتى عاد العزيز إلى مصر على صلح فيه دخل فلم يتم ذلك وتوحش ما بينهما ، وخرج العزيز ثانيا إلى دمشق فدبر عليه عمه العادل حتى كاد أن يزول ملكه وعاد خائفا فسار إليه

الأفضل والعادل حتى نزلا بلبيس فجرت أمور آلت إلى الصلح ، وأقام العادل مع العزيز بمصر وعاد الأفضل إلى مملكته بدمشق .

ولما تولى ابنه الملك المنصور ناصر الدين محمد وعمره تسع سنين قام بأمور الدولة بهاء الدين قرقوش الأزدى الأتابك فاختلف عليه أمر الدولة وكاتبوا الملك الأفضل فقدم من صرخد فى خامس ربيع الأول فاستولى على الأمور ، ولم يبق للمنصور معه سوى الاسم ثم سار به من القاهرة فى ثالث رجب يريد أخذ دمشق من عمه العادل بعد ما قبض على عدة من الأمراء ، فجرت بينه وبين عمه حروب كثيرة آلت إلى عود الأفضل إلى مصر بمكيدة دبرها عليه العادل ، وخرج العادل فى أثره وواقعه على بلبيس فكسره فى سادس ربيع الآخر سنة ست وتسعين وخمسمائة والتجأ إلى القاهرة ، وطلب الصلح فعوضه العادل صرخد ودخل إلى القاهرة وخلعه فى يوم الجمعة حادى عشر شوال وتسلطن هو باسم الملك العادل سيف الدين أبى بكر محمد بن أيوب .

وفى القرن السابع فما قبله ، وكانت هذه المدينة كما فى المقريزى من مراكز الطير التى كانت تحمل البطائق إلى الملوك كناحية بيسوس وقطيا وغيرهما على ما بيناه فى الكلام على أبراج الحمام عند ذكر منية عقبة .

وقال المقريزى : أيضاً أن ناظر الجيش فخر الدين محمد بن فضل الله بنى بلبيس مارستانا ، وفعل بها وبغيرها أنواعاً كثيرة من الخير كبناء المساجد وحياض الماء المسبلة فى الطرقات قال : وكان أولاً نصرانياً ، وكان متألها فى نصرانيته ثم أكره على الإسلام فامتنع ، وهم بقتل نفسه وتغيب أياما ثم أسلم وحسن إسلامه ، وأبعد النصارى ولم يقرب أحداً منهم وحج غير مرة ، وتصدق فى آخر عمره مدة كل شهر ثلاثة آلاف درهم نقرة وزار القدس مراراً وأحرم مرة من القدس بالحج ، وسار إلى مكة محرماً ، وكان إذا خدمه أحد مرة واحدة صار صاحبه طول عمره ، وكان كثير الإحسان لا يزال فى قضاء حوائج الناس من عصبية شديدة لأصحابه ، وانتفع به خلق كثيرون لوجاهته عند السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وكان أولا كاتب المماليك السلطانية ، ثم ولى نظر الجيش ، ثم صارت المملكة كلها له من أمور الجيش والأموال وغيرها إلى أن غضب عليه السلطان ، وصادره على أربعمائة ألف درهم ثم رضى عنه ، وأمر بإعادة ما أخذ منه فامتنع ، وقال

أنا خرجت عنها للسلطان فليبن بها جامعا فبنى بها الجامع الجديد الناصرى وكان موته سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة ، وله من العمر ما ينيف على سبعين سنة وترك موجوداً عظيماً إلى الغاية قال السلطان لما بلغه جوابه لعنه الله خمس عشرة سنة ما يدعنى اعمل ما أريد وأوصى للسلطان بأربعمائة ألف درهم نقرة فأخذ من تركته أكثر من ألف ألف درهم ومن حين موته كثر تسلط الملك الناصر على أموال الناس انتهى .

وفى حوادث سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة من تاريخ ابن إياس أن السلطان طومان باى لما تحقق وصول ابن عثمان إلى بلبيس رسم بحرق الشون التى فى بلبيس ، وما حولها حتى الشون التى فى الخانقاة فحرقوا أشياء كثيرة من التبن والدريس والقمح والشعير والفول وغير ذلك لئلا ينهبه عساكر ابن عثمان لخيوله فتقوى عسكره على القتال ، وصار العرب يقطعون رؤوس العثمانية الذين يظفرون بهم فى الطرقات فيرسلها السلطان إلى المدينة وهو يومئذ فى وطاقة جهة المطرية انتهى .

وفى الجبرتى فى حوادث سنة تسع عشرة ومائتين وألف أن أمراء المماليك لما صار خروجهم من مصر وإجلاؤهم منها واستيلاء عساكر الأرنؤود وعاثت المماليك فى البلاد بالفساد ، ومعهم طوائف العرب كما ذكرنا ذلك فى عدة مواضع من هذا الكتاب كالوابلى وغيره ذهبت طائف منهم إلى بلبيس فحاصرهم بها كاشف الشرقية يومين ثم تغلبوا عليه ، ونقبوا عليه الحيطان وقتلوا من معه وأخذوه أسيراً، ومعه اثنان من كبار العسكر ثم نهبوا البلد وقتلوا من أهلها نحو المائتين وحضر أبو طويلة شيخ العايد عند الأمراء ، وكلمهم على ترك النهب ، وقال لهم هذه الزروعات غالبها للعرب والذى زرعه الفلاح فى بلاد الشرق شركة مع العرب مع أن العرب الواصلين معهم ليس لهم رأس مال فى ذلك فكفوهم وامنعوهم ويأتيكم كفايتكم ، وأما النهب فإنه يذهب هدراً فلما سمع كبار العرب المصاحبين لهم من الهنادى وغيرهم قوله هنود العرب اغتاظوا منه وكادوا يقتلونه ووقع بين العرب مناقشة واختلاف ، وفضل فوق الفشل الحاصل مع الحكام والمماليك ، ولم يزدد الأمر على البلاد الأشدة ، وانتهى الفساد إلى خراب البلاد انتهى .

ومن جميع ما تقدم يعلم أن بلبيس من المدن المعتبرة قديما نزلتها الملوك ونشأت منها الأكابر والأفاضل .

ففى حسن المحاضرات للسيوطى أن منها عماد الدين محمد بن إسحاق بن محمد بن المرتضى البلبيسى الشافعى كان من حفاظ المذهب أخذ عن ابن الرفعة وغيره وولى قضاء الإسكندرية مات بالطاعون فى شعبان سنة تسع وأربعين وسبعمائة وقد قارب السبعين .

ومنها القاضى مجد الدين إسمعيل بن إبراهيم بن محمد بن على بن موسى الكنانى البلبيسى تخرج بمغلطاى والتركمانى ومهر فى الفقه والفرائض وشارك فى الأدب ، وله تأليف فى الفرائض واختصر الأنساب للرشاطى ، وولى قضاء الحنفية فى القاهرة مات فى ربيع الأول سنة اثنتين وثمانمائة .

وفى الضوء اللامع للسخاوى أنه ولد بها الشيخ محمد بن على بن محمد البلبيسى المكى الشافعى المعروف بابن النحاس قدم مع أبويه إلى مكة رضيعاً فأرضعته السيدة زينب بنت القاضى أبى الفضل النويرى فلما ترعرع لزم خدمتها وخدمة زوجها ثم نال دنيا بالتجارة وغيرها ، واستفاد عقاراً ونقداً وعروضا ومات سنة سبع وستين وثمانمائة بمكة ، ودفن بالمعلاة وسمع من الزين المراغى والقاضى عبد الرحمن الزرندى ورقية ابن مزروع بالمدينة ومن مخدومته زينب وزوجها الجمال بمكة انتهى .

وفيه أيضاً أن منها الشيخ محمد بن محمد بن أحمد بن أبى العباس البلبيسى قاضيها الشافعى يعرف بابن البيشى بموحدة مكسورة بعدها تحتانية ثم معجمة ولد ببلبيس ونشأ بها ، وكان المجد إسماعيل البلبيسى قاضى الحنفية بمصر قريبه من جهة النساء فانتقل عنده بالقاهرة فجود بعض القرآن ، وحفظ العمدة والمنهاج والألفية وغيرها على قريبه المجد وغيره وأجاروه وبحث جميع المنهاج على الأبناسى وغيره ، وحج مع أبيه صغيراً وكان يستحضر أكثر الروضة والحاوى ، وكتب بخطه الحسن أشياء وناب فى القضاء ببلده عن جماعة بل اقتصر القاياتى أيام قضائه عليه فى الشرقية جميعها إجلالاً له ، وكان إماماً عالماً فقيهاً غاية فى التواضع وطرح التكلف مات سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة ولم يخلف فى الشرقية مثله انتهى .

وفيه أيضاً أن منها الشيخ محمد بن محمد الشمس البلبيسى القاهرى الشافعى ، ولد ببلبيس ونشأ بالقاهرة فى كنف أبيه وجاور بالأزهر وانتقل بالفقه ونحوه عند ابن قاسم ، وابن شولة ، وتعب فى تربيته وسافر معه لمكة وبيت المقدس وغيرهما واسترزق من الكتابة والتعليم فى بيت ابن علبية ونزل فى سعيد السعداء والنبرسية وغيرهما ، وتغير خاطر أبيه منه قليلاً ثم تراجع ، ومات إلا وهو يدعو له وجاور بعد موته موت أبيه بمكة ثم عاد ، وأسكنه الأستادار فى المسجد الذى جدد بالخشابين وجعل له إمامته والقيام به انتهى .

ولم يذكر تاريخ وفاته ، وإنما ذكر أن ولادته كانت سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة .

قال وولد بها أيضاً الشيخ محمد بن محمد الحملى البلبيسى القاهرى الشافعى وبعد أن حفظ القرآن حفظ العمدة والتبريزى والجرجانية وزيع المنهاج على فقيه بلدة البرهان الفاقوسى وخطب أشتهر بجامع بلدة ثم صحب الشيخ الغمرى ، وتلقن منه ولقى ابن رسلان وتهذب بهديه وأخذ عن الشهاب الزواوى وآخرين وسافر لمكة والمدينة وبيت المقدس والخليل والمحلة وتكسب بالفساخة ، وقيد على البخارى والشفاء من الحواشى النافعة ما يدل لفضله واختصر تفسير البيضاوى مع زيادات ، وكتب على المنهاج فى الزكاة وامتدح النبى ﷺ بقصيدة ، وكان فاضلا دينا جيد الفهم بديع التصور صحيح العقيدة خبير بالأمور متين التحرى والعفة حسن العشرة نير الهيئة مات فى ربيع الأول سنة سبع وثمانين وثمانمائة ، ودفن بجوار أبيه بتربة سعيد السعداء رحمه الله تعالى انتهى .

وفى رحلة سيدى عبد الغنى النابلسى رحمه الله من الشام إلى مصر قال وصلنا بلدة بلبيس فنزلنا هناك فى زاوية عمرت قبل نحو سنتين من تاريخ نزولنا بها على قبر الولى الصالح الشيخ داود الغجرى بفتح الغين المعجمة ، وفتح الجيم وكسر الراء وياء النسبة ، وعليه قبة لطيفة ، وعمارة شريفة ، وهنا مسجد وماء جار بدولاب الدواب من بئر هناك .

قلت : وقد خرب الآن وتعطل وصار المكان مملوء بالرمال وبالقرب منه قبر الشيخ سعدون السطوحى يقال أنه يجتمع مع سيدى أحمد البدوى فى النسب ، وهذا المزار مشهور به وله به مولدان كل سنة بعد عيد الفطر بخمسة أيام وفى

عاشوراء ، وكانا مشهورين جامعين يأتيهما الناس من كل مكان وقد قل اجتماع الناس بهما الآن .

قال سيد عبد الغنى وبالقرب منه قبر الشيخ سعدون الجنزى بفتح الجيم وسكون النون ، ثم زاى وياء النسبة ، وهو رجل من أولياء الله الصالحين له قبة وعليه عمارة ، وهناك أيضاً قبر الشيخ عبد الله .

وهو الذى فتح البلاد ولم يزل يجاهد فى الكفار حتى قتل ، وقطعت رجلاه، على قبره قبة وعمارة قال وقد قلنا من النظام فى ذلك المقام :

سقى الله وادى النيل فيه فسيحوا	وحـفرات ماء جوفهن فسيح
ويا حـبذا بلبيس والنخل راكع	صـفوفا بهـا أبان أقبل ريح
كـقامات غيد رافعات كـفوفها	لنحـو السما والطل ثم يسيح
زمان الشـتا حـيث الجفا كأنه	دخـان به فاحـت مهامه فيح
إذا سـار فيه القوم غشى ركابهم	وتمحـقه شمس الضحى فستريح
وتلك التـلال الغربين مياهـه	وغـدرانه عنهـا البلال تزيح
فتمشى بها الأقدام فوق صراطها	إلى حـيث شاء والغرام صحيح
بلاد بها مصر الشريفة قد زهـت	على ما سـواها والمقال صحيح
غلال وجنات من النخل زخرفت	بكـل قوام ماس وهو رجـيح

قلت : وهذا المشهد مشهور يقصده الناس للزيارة والتبرك به ، وهذه المدينة إلى الآن عامرة وبها سوق فيه حوانيت كثيرة مشتملة على أصناف من البضائع والحرف وبها جملة معاصر لزيت الشيرج وأغلب مبانيها بالطوب الأحمر ، وفيها أربعة مساجد جامعة أحدها جامع السلطان العزيز ، ويقال له الجامع الكبير وبه منارة مرتفعة ، وبه مقام العارف بالله تعالى ذى الكرمات الباهرة والنفحات الظاهرة السيد مصطفى المنسى السعدونى نسبة إلى سيدى سعدون السطوحى المدفون بمشهده الشهير خارج بلبيس فى البر الشرقى للترعة الحلوة الإسماعيلية مع سعدون الجنزى وغيره كما تقدم وإلى سعدون السطوحى ينسب هذا المشهد ، وله

السيد المنسى المذكور ببلبيس ونشأ بها هو ووالده وعائلتهم جميعها ، وأخذ طريق الخلوتية عن الولى الكامل شيخ الإسلام والجامع الأزهر العارف بالله تعالى الشيخ عبد الله الشرقاوى بسنده فى هذا الطريق إلى السيد الحفنى رضى الله عنهم جميعاً فتربى فى حجر شيخه الشيخ الشرقاوى ورعايته حتى بلغ من الكمال منتهاه وأذنه بالتلقين وتربية المريدين فأقام ببلده يرشد الخلق ، ويقضى حوائج العباد ساعيا فى مرضاة الله تعالى ، وكان ذا همة عالية وهيبة تامة وتهابه الحكام ، وتقضى حوائجه جميعها بدون أن يختلط بهم ، وأن يكون لهم عنده منزلة فكان لا يألف إلا الفقراء ولا يعتنى إلا المساكين ، ويقضى حاجة المضطر كأنة ما كانت وبالغة ما بلغت ولو عند أشد الحكام ، وكانت كراماته شهيرة جداً لا ينكرها أحد من أهل عصره خصوصاً من كان كثير الاجتماع به والملازمة له من المطلعين على أحواله .

وتوفى رحمه الله تعالى فى ربيع الآخر سنة سبع وسبعين ومائتين وألف هجرية ودفن بالجامع الكبير ، وكان رضى الله عنه ناظراً فى مصالحه قائماً بشعائره وجميع ما يلزم لعمارته لله تعالى فإنه كان قد انقطع إيراده ، ولم يكن له إيراد يصرف عليه منه حتى لاحظه الشيخ رحمه الله ، ولم يزل عامراً إلى الآن ، وهو أعمر مساجد البلدو عليه من النور والجلال ما يبهر العقل ولا ينكره أحد سيما بعد أن دفن فيه الشيخ رحمه الله رحمة واسعة .

والثانى جامع السادات وهو جامع المأمون .

والثالث جامع السويقة وهو جامع الناصر ولكل منهما منارة .

والرابع جامع المقوقع وله أوقاف يصرف عليه منها من حوانيت ودور وغيرها وهو الآن معطل الشعائر خراب .

وقد عد المقريزى فى المحاريب التى وضعها الصحابة رضى الله عنهم فى قرى مصر محرابا بمدينة بلبيس ولعله هو محراب الجامع الكبير ، وبها جملة زوايا للصلاة أيضاً وحمام غير منتظم بل هو قذر وأنوال لنسيج الأقمشة البلدية وأرباب حرف وتجار قطن من الدول المتحابة والأهالى ، وجملة أضرحة مثل مقام سيدى

سعدون السطوحى والجنزى شرقى الترعة الإسماعيلية له مولدان كل سنة كما تقدم يجتمع فيه كثير من أهالى المديرية ، ومقام سيدى محمد الصادق ، وأمير الجيش وأبى المظلوم ، وغير ذلك ، وبها جملة من النخيل والأشجار المتنوعة وبها مكاتب أهلية لتعليم القرآن والكتابة . والترعة الإسماعيلية تمر فى شرقيها بمسافة نحو ألف متر ، وعليها هناك هويس وفى غربها على نحو ألف وخمسمائة متر فرع الشيبينى وغربى ذلك الفرع محطة السكة الحديد ، وكان فى السابق بجوارها من الجهة الغربية بحر يقال له بحر أبى قوام ، وكان له أرصفة بالطوب الأحمر والمونة، وكان على شاطئه حمام بعض آثاره باقية إلى الآن ، وقد صار ذلك البحر الآن أرض مزارع وصار بينه وبينها نحو مائتى متر .

وبها ثلاثة أشجار كابلية لا توجد إلا فى بلاد الهند واحدة بجنينة الشيخ عمر حرش القاضى ، واثنتان فى محل يقال له حمرة الحلبى إحداهما بجوار الساقية من الجهة القبلية ، وهى خلفه والأخرى فى قبليها بمسافة خمسة عشر متراً ، ومحيط هذه الشجرة متر ، والتى بقرب الساقية محيطها أربعة أعشار متر ، والتى بجنينه الشيخ عمر محيطها ستة أعشار متر وجميعها له شبه بشجر النبق وفروعها تشبه الصفصاف ، ولها شوك يشبه شوك الليمون ولون ورقها يشبه لون ورق النيلة لكنه فى الاستدارة مثل ورق النبق ، وبه نعومة وثمرها يشبه التفاح لكنه على هيئة البلح الطويل ، ويرطب مثل البلح وبه مادة سكرية وأكثر وجوده فى شهر برمهات ، وقد يستديم مثل الليمون وأهل البلد يقولون أنه كان فى هذا المحل أى محل حمرة الحلبى كنيسة حيث وجد به بعض آثار من المبانى تدل على ذلك وبحرى الساقية التى بجوار الشجرة أثر مبان تشبه القبور لكنها متداخلة ، وزمام أطيانها ألفان وستمائة واثنان وعشرون فدانا وثلثا فدان ، وتعداد أهاليها ذكوراً وإناثا خمسة آلاف وستمائة وثمان وستون نفسا ، ولها سوق كل يوم خميس يباع فيه المواشى وكافة الأصناف .

وفى غربى مدينة بلبيس قرية منية حمل على نحو ثلاثة آلاف متر يفصلها عنها البحر الشيبينى والسكة الحديدية . وفى منية حمل المذكورة من الجهة الغربية قطعة حجر عظيمة مبنية صلب جداً لا تكاد تؤثر فيها المعاول يقال إنها فى الأصل باب من أبواب مدينة بلبيس فعلى هذا تكون منية حمل من جملة بلبيس ، وبهذا البلد

أعنى منية حمل جامع عظيم محكم الوضع فى وسط البلد ليس بها غيره ومئذنة مرتفعة جداً بناه الظاهر بيبرس البندقدارى ، ولم يزل هذا البناء موجوداً إلى الآن، وبها من الأضرحة ضريح للشيخ سالم المجاهد بالقرافة ، وضريح الشيخ محمد السقيم ، وضريح سيدى على المزين وضريح سيدى على الغيطى ، وضريح سيدى محمد أبى شريفة .

وإليها ينسب الشيخ أحمد الحملاوى بن محمد بن أحمد ولد بها سنة (١٢٧٣هـ) ، وتربى فى حجر والده وقرأ القرآن بها ، وقدم إلى الأزهر سنة (١٢٧٨هـ) فحفظ المتون وجود القرآن الشريف وتلقى كثيراً من العلوم الشرعية والأدبية عن أفاضل عصره ثم دخل مدرسة دار العلوم ، وتلقى الفنون المقررة قراءتها فيها وسيأتى باقى الكلام عليها فى المنيات .

وفى قبلى بلبيس على بعد ثلاثة آلاف متر ناحية الزريبة على حافة الترعة الإسماعيلية من البر الغربى ، وهى واقعة بأرض رمال وبها مسجد عامر ومكاتب لتعليم القرآن والكتابة ، ومعاصر لاستخراج الزيت وطواحين حناء ، وبها منزل مشيد لعمدتها أحمد مصطفى وبستان وفواكه بجوار السكة من جهة الشمال ، وبها مجلسان للدعاوى والمشيخة ويكثر فيها زراعة شجر الحناء ، وبها نخيل وأنواع من الأشجار ، وبها وابور لعمدتها المذكور وزمام أطيانها ثمانمائة واثنان وثلاثون فدانا وكسر وعدد أهلها ألف ومائة وأربع وستون نفسا وأكثر تكسبهم من الزراعة .

وكان بها من العلماء الفاضل المحقق الشيخ أحمد عمار نائب محكمة الإسماعيلية سابقا توفى سنة ١٣٠٢ هـ ، وهو من عائلة تعرف بالصوالحة من الأشراف وأكبر أنجاله حضرة محمد أفندى صالح ، ولد فى (٥ من ذى القعدة سنة ١٢٧٢ هـ) ، وبعد أن حفظ القرآن الشريف حضر إلى الجامع الأزهر وتلقى كتب الفقه فى مذهب الشافعى ، وكتب اللغة العربية وغيرها من العلوم الجارى تدريسها بالجامع المذكور ، ثم دخل مدرسة دار العلوم واشتغل بتحصيل علومها بجد ونشاط فتلقى بها الأدبيات والطبيعيات والرياضيات والتاريخ ، وغير ذلك مما هو مقرر تحصيله بتلك المدرسة بعد أن أتم دروسه بها ترقى بوظيفة مدرس

بالمدارس الأميرية ، ولم يزل ينتقل من وظيفة إلى أرقى منها حتى صار الآن مفتشا بنظارة المعارف العمومية [1] .

* * *

القطة المقدسة معبودة الفراعنة

ظهرت فى الزقازيق

بقلم الأثرى أحمد الصاوى

فى تل بسطة عثر العلماء على موميات كاملة للقطة المقدسة أثبت الكربون (١٤) أن عمرها ٣ آلاف سنة .

لماذا عبد المصريون القطة طول حياتهم وأحيوها ، وأقاموا لها المعابد والمقابر . . . ولماذا يحبها ويخاف المصريون الآن داخل القرى المصرية ؟

القطة المقدسة ظهرت فى الزقازيق :

عثروا على مقبرة كبيرة تضم مئات القطط المقدسة فى تل بسطة غرب طريق المعاهدة . انتهى العلماء من تشريح موميات القطط وأثبتوا - بالكربون (١٤) - أنها ترجع إلى نحو ٣ آلاف سنة إلى الوراء .

عثروا على جبانة شعبية تضم القدماء من عامة الشعب من حول المركز الرئيسى لعبادة الإلهة القطة فى تل بسطة . . . أكد العلماء أن المصريين عبدوا القطة منذ ما قبل التاريخ المكتوب حتى ما بعد الميلاد عبر رحلة طويلة استمر مشوارها أكثر من ٤ آلاف سنة !

لأو مرة - وبعد ٧٠ شهراً من الحفريات - يعثر الأثريون بقيادة أحمد الصاوى مدير إدارة الحفائر بهيئة الآثار المصرية - على القطط المقدسة « باستت » داخل أوان فخارية . . . وسط سراديب مظلمة فى تل بسطة . . وكانت كل جبانات القطط السابقة مجرد قطط مدفونة فى التراب . حتى أنه - ولأول مرة أيضاً - استطاعوا الحصول على خمس مومياوات للآلهة القطعة داخل أوان فخارية . . . والمومياوات كاملة . . . وإن كانت مجرد هياكل عظيمة لخمس قطط مقدسة ، فى

---

(١) هذا الفصل نقلناه عن كتاب الخطط لعلى مبارك باشا .

الوقت الذى وجدوا فيه نحو ٣٠٠ مومياء أخرى لقطط مقدسة ، ولكن ليست فى حالة جيدة . . . وإنما مجرد عظام اتلفها التراب منذ زمان طويل !

العلم يقول كلمة :

ولما كانت هذه المرة الأولى التى يمكن فيها الحصول على مومياوات كاملة للآلهة باستت فى حالة جيدة فقد قام فريق من علماء التشريح بنقل ثلاث منها إلى معاملهم . . . وتولى الدكتور مصطفى شمس الدين مهمة تشريحها وفحصها داخل معامل كلية الطب البيطرى . . . وانتهى إلى أكثر من حقيقة علمية حول القطة المقدسة .

إن القطط بعد موتها تم تحنيطها ووضعها داخل « رماد فرن » لحفظها من التلف ثم وضعت داخل إناء فخارى صنع خصيصاً لها .

بعد فحص موميات القطط بالكرون (١٤) المشع اتضح أن عمرها فى حدود ٣ آلاف سنة !

القطط المقدسة من فصيلة القطط التى اسمها العلمى : « فليس مانيكولاتا » وهى من أنواع القطط الأليفة أجداد القطط التى تعيش فى بيوت المصريين فى الوقت الحاضر .

ثمة دلائل أخرى غير جبانة القطط تؤكد أن تل بسطة كان المركز الرئيسى لعبادة الإلهة القطة أو سيدة الشرق القديم كما يطلق عليها المؤرخون :

أول دليل المعبد الكبير للقطة والذى عثروا عليه فى تل بسطة . . . والمعبد - وإن كان إطلال الآن - يحتوى على صالات عديدة أضافها الملوك والحكام الذين حكموا مصر . . . كل ملك أو حاكم ترك نقوشه على جدران الصالات التى أضافها للمعبد الكبير الأمر الذى يقطع بأن القطة عبدها المصريون فى كل مكان على أرض مصر ، وأن تل بسطة هى المركز الرئيسى لعبادة سيدة الشرق القديم .

« وأول اسم ملكى وجدوه منقوشاً فى المعبد الكبير لقطة الملك خوفو المؤسس الحقيقى للأسرة الرابعة - (٢٥٩٤) سنة قبل الميلاد - ثم الملك بيبى الأول من الأسرة السادسة - (٢٣٠٠) قبل الميلاد ومن أسماء ملوك الأسر ٢٢ ، ٢٣ ، منذ (٩٤٥) سنة قبل الميلاد - أسماء نقتانيو الأول وشيشنق الأول » .

ملحوظة : يقول العلماء الفرنسيون الذين فحصوا المعبد الكبير للقطة أنه يلزمه ٥ ملايين جنيه لتحويله من مجرد أطلال إلى معبد عظيم .

معبودة كل المصريين :

ولم يكن المعبد الكبير هو المكان الوحيد الذى عثر فيه على آثار باستت الإلهة القطة :

فى معبد دندرة فى أسوان وهو من عصر البطالمة . . . يوجد نقوش للإلهة القطة .

فى منف عاصمة مصر القديمة يوجد معبد قديم - وصفه الرحالة هيرودوت فى كتبه - بأنه معبد للمعبودة القطة .

على أحد جانبى بوابة معبد خفرع عين القطة المقدسة ، وعلى الجانب الآخر الآلهة حتحور البقرة المقدسة إلهة الخصب والأمومة والتكاثر عند المصريين .

فى سقارة عثروا على تمثال للآلهة القطة . . . والتمثال على هيئة امرأة رأسها قطة ، وتحمل فى يدها اليسرى سلة خبز مثل ربة البيت وفى يدها اليمنى «شخشيخة» علامة على المرح والموسيقى ، وهذا التمثال يعنى أن القطة كان لها مكانة كبيرة فى حياة كل مصرى . . . وأنه بالخبز والموسيقى معا يعيش الإنسان المصرى !

أما مدينة بلبيس القريبة من تل بسطة كان اسمها قديما « بيربس » ومعناه بيت القطة . . وأن اسم بسطة قد ذكر فى التوراة باللغة العبرية تحت اسم « فيبسة » ومعناه مكان عبادة « القطة » .

للعلم : بدأ البحث فى تل بسطة فى عام (١٩٨٧) وقام به العالم الانجليزى نافيل ثم لبيب حبشى عام ٣٩ ثم شفيق فريد عام ٦١ ، وأخيراً أحمد الصاوى من ٦٧ حتى الآن .

٤٢ آلهاً لكل الناس :

ولكن لماذا عبد المصريون القدماء - طوال حياتهم - القطة وقدسوها وأقاموا لها المعابد والمقابر ؟

إن العبادة عند المصريين القدماء – يقول الأثرى أحمد الصاوى – قامت أساسا على الملاحظة الشخصية والاقتناع الكامل للإنسان المصرى » وقد بنى المصرى القديم ديانته على أساس غرائز الحب والاحترام والخوف . . . وقد أحب المصريون « حتحور » آلهة الجمال واحترموا « تحوت » إله الحكمة والممثل فى أبو قردان وخافوا من اللبوءة « سخمية » وابن آوى « أنوبيس » إله الجبانة وحارسها فعبدوهما خوفا وتقربا لهما !

لماذا القطة بالذات :

أما القطة المقدسة التى كانت تعيش داخل بيت كل مصرى فقد عبدها المصريون ٤ آلاف سنة ويزيد لأكثر من سبب :

١ – يقولون إن إحدى عينى القطة تمثل الشمس والعين الأخرى تمثل القمر لاختلاف الأضواء فيهما أثناء النهار والليل .

٢ – لما كانت القطة عدوة الثعبان السام رقم واحد ، فإذا قدسوها واحترموها أكثر من الألهة الثعبان التى كانت تحمل اسم « واريت » .

٣ – إذا كان المصريون قد عبدوا اللبوءة « سخيت » إلهة للقوة والشراسة والحرب ، ولكن القطة تختلف عنها ، وإن كانت من نفس النوع . . . فهى أليفة ووديعة ومفيدة للإنسان المصرى .

٤ – اكتشف المصريون أنه من الصعب بأن تموت القطة مهما كانت الكوارث التى تقع لها . . . ومن هنا خرجت العبارة الشهيرة التى تقول أن القطة بـ ٧ أرواح ، وهى عبارة فرعونية قديمة ما زالت على ألسنة العامة حتى اليوم .

وحتى اليوم ما زال المصريون يحبون القطة ويحترمونها ويخشون أذيتها ولا يضربونها أبدا أثناء الليل لاعتقادهم – خصوصاً مكان الريف – لأن الملائكة تتقمص أجساد القطط وتنزل إلى الناس ليلا وتتجول بين الناس عبر الظلام .

* * *

مراجع عامة

١ - القرآن الكريم .

٢ - التوراة .

٣ - تاريخ مصر تأليف جورجى زيدان - الجزء الثانى .

٤ - الفسطاط د/ عبد الرحمن زكى .

٥ - مصر القديمة - سليم حسن .

٦ - صبح الأعشى - القلقشندى .

٧ - عمر مكرم - تأليف محمد فريد أبو حديد .

٨ - عمر مكرم - تأليف د/ عبد العزيز الشناوى

٩ - العزيز بالله الفاطمى .

١٠ - السيف المهند - تأليف بدر الدين العينى .

١١ - تراث مصر - عبد الرحمن زكى .

١٢ - تاريخ الإسلام السياسى - د/ حسن إبراهيم حسن .

١٣ - البردة للبوصيرى .

١٤ - القاموس الجغرافى - محمد رمزى .

١٥ - قواعد اللغة المصرية القديمة - د/ عبد المحسن بكير .

١٦ - نحن العرب - لواء حامد صالح .

١٧ - السيوطى .

١٨ - الخطط التوفيقية - على باشا مبارك .

١٩ - رحلة سيدنا عيسى إلى مصر - العائلة المقدسة .

٢٠ - الحركة القومية - عبد الرحمن الرافعى بك .

٢١ - رحلات إلى أرض إسرائيل .

٢٢ - دليل السياحة فى مصر - تأليف أهورى يعورى - باللغة العربية .

٢٣ - قاموس اللغة القبطية - تأليف لبيب اقلاديوس .

٢٤ - لغة الإدارة العامة فى مصر فى القرن التاسع عشر - تأليف عبد السلام سالم الهوارى .

٢٥ - قاموس الكتاب المقدس .

٢٦ - الأسفار التاريخية - د/ على عبد الواحد وافى .

٢٧ - فراعنة الكتاب المقدس تأليف حبيب سعيد .

٢٨ - هروب سيدنا عيسى إلى مصر - تأليف وليم فريد .

٢٩ - رسائل الجيب الإسلامية - السيدة زينب رضى الله عنها - تأليف على أحمد شلبى .

٣٠ - قيام الدولة الأيوبية فى مصر - تأليف على بيومى .

٣١ - مصر ملاذ العالم الإسلامى - الظاهر بيبرس د/ على محمد حمودة .

٣٢ - النجوم الزاهرة = تغرى بردى .

٣٣ - بدائع الزهور ابن أياس .

٣٤ - أدب الرحلات عند العرب فى الشرق - تأليف د/ على محسن مال الله .

٣٥ - المختار من كتاب ولاة مصر وقضائها - د/ إبراهيم العدوى .

٣٦ - كتاب من غير عنوان - فى التاريخ الدينى .

٣٧ - كتاب فى فقه اللغة تأليف د/ صلاح صالح .

٣٨ - السويس .

٣٩ - بحيرات مصر تأليف لواء عبد المنصف محمود .

٤٠ - الجبرتى .

٤١ - أبو العباس القلقشندى (صبح الأعشى - تأليف أحمد عزت عبد الكريم).

٤٢ - القبائل العربية فى مصر تأليف د/ عبد الله خورشيد البرى .

٤٣ - مصر فى القرآن والسنة تأليف د/ أحمد عبد الحميد يوسف .

٤٤ - مجلة الشرقية .

٤٥ - مجلة المصور عدد ٢٣ إبريل ١٩٨٢ .

٤٦ - مجلة المدرسة الإبراهيمية .

٤٧ - مجلة الهلال .

٤٨ - صحيفة الأهرام عدد ٣٧/٣/١٩٧٦ .

٤٩ - الجهاز المركزى للتعبئة والأحصاء - محافظة الشرقية مرجع ٩٣/١١١ .

٥٠ - مع التوراة تأليف موشى ديان (ترجمنا الجزء الخاص إلى اللغة العربية).

* * *

مراجع أجنبية

1 - Ball Bek in History By John Woad .

2 - The Travellers of the Nile .

3 - Jewish Travellers Ly Adler .

4 - History of Egypt in the Middle Ages By Stanly Lane Pool .

5 - The People off Sharkia . تقرير عن مديرية الشرقية .

6 - The Route of Exodus .

7 - Les Jnities - Les Rites en Egypte .

8 - Les Religions Egyptienues Par Mingy .

9 - Jewish Encyclopedea .

* * *

فهرس الموضوعات

* * *

هذا الكتاب

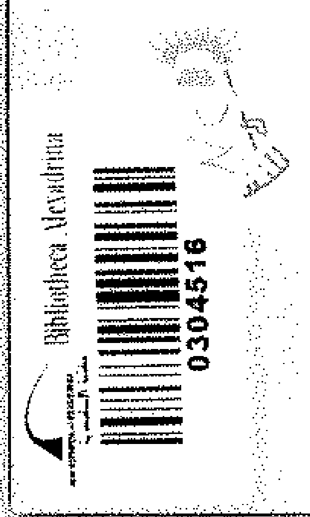
يتحدث عن مدينة بلبيس من عهد الفراعنة من حيث اسمها في الزمن القديم وإن كلمة بلبيس لم توضع اعتباط ولكن لها معنى وإنها بلد الأنبياء والرسل والصحابة - وقد ظهر من بين سكانها علماء وأفاضل قاموا بخدمات جليلة وقد زار المدينة عدد لا بأس به من الرحالة المشهورين .

وأن بلبيس من أهم المدن السياحية للأجانب أو المصريين ونتحدث عن أهم الآثار الفرعونية الموجودة بها والمساجد الإسلامية وكثير من العظماء الذين فضلوا اللجوء إلى بلبيس ذلك أن موقع بلبيس الجغرافي قد أعطاها ميزة عن غيرها .

أهمية موقع بلبيس الحربي وذكر في الكتاب كذلك أهم القبائل العربية التي استوطنت في بلبيس .

وقد ختم الكتاب بمختارات من آراء المؤرخين عن بلبيس .

الناشر



21